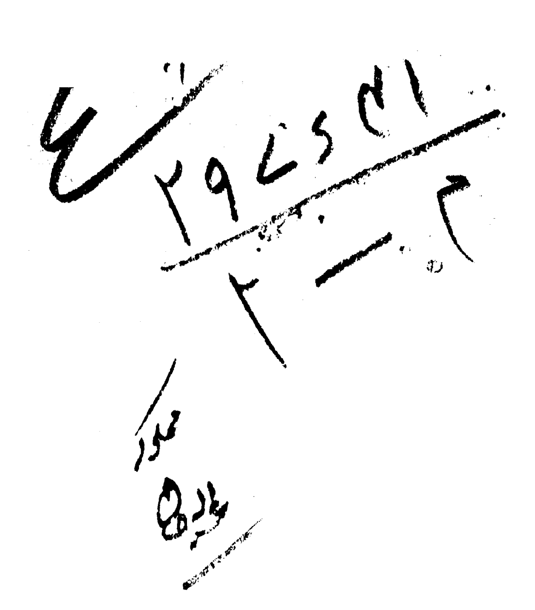
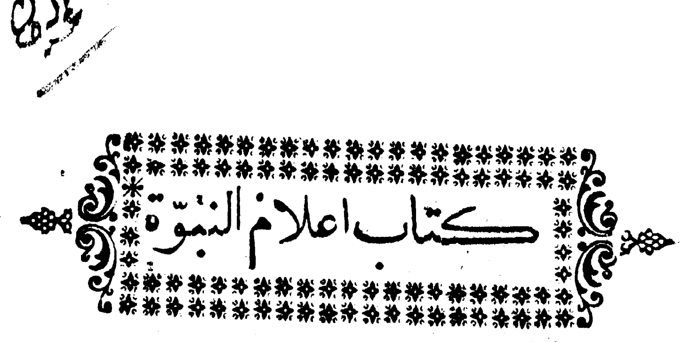
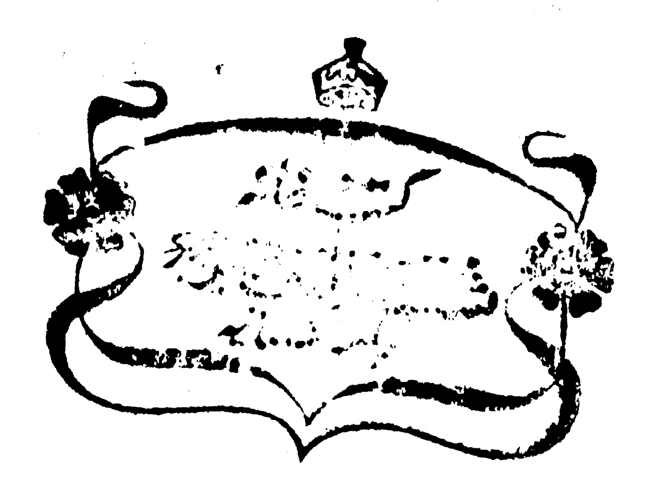
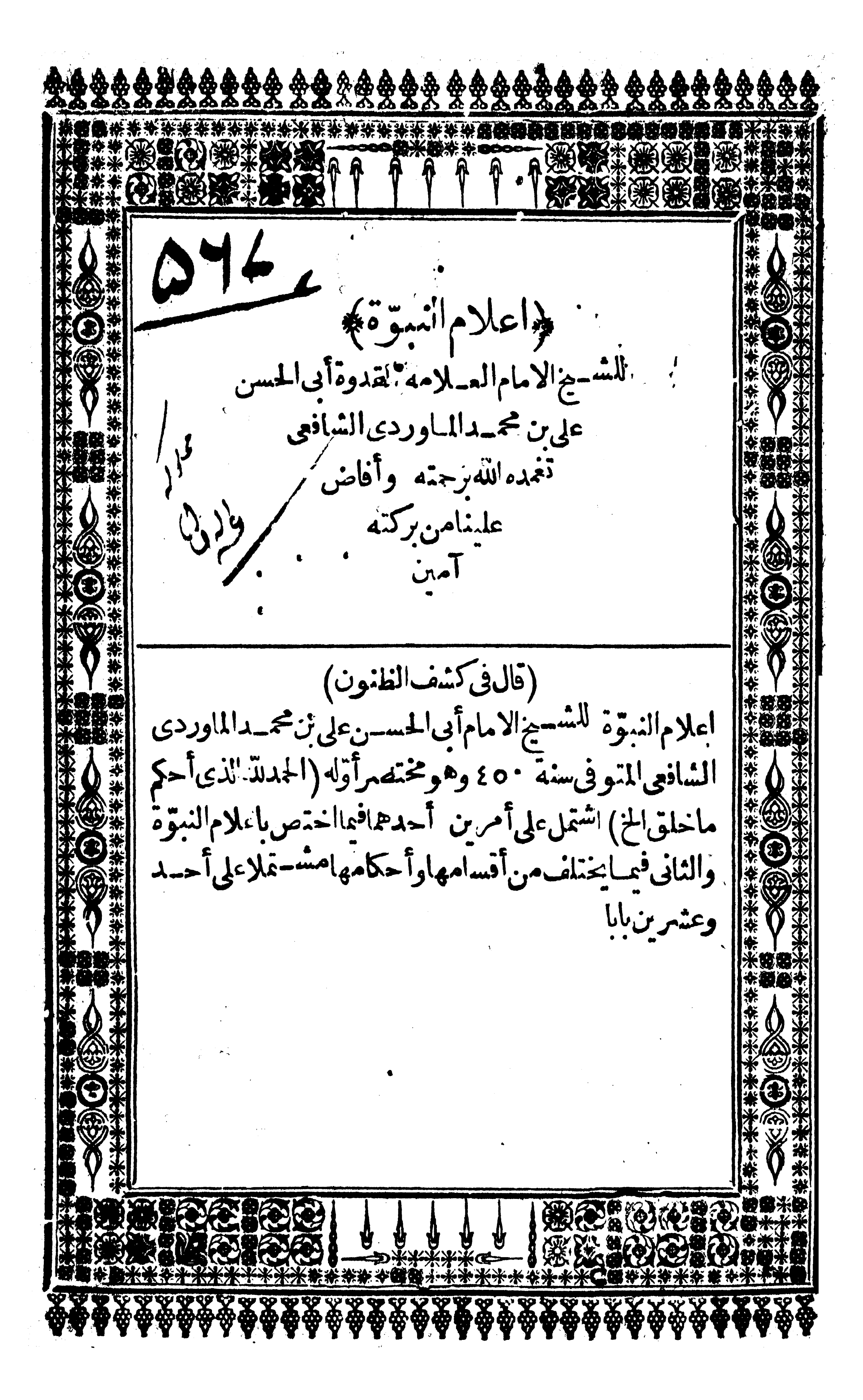



كتاب اعلام النبوة



﴿فهرسة كتاب اعلام النبوة للعلامة الماوردى﴾

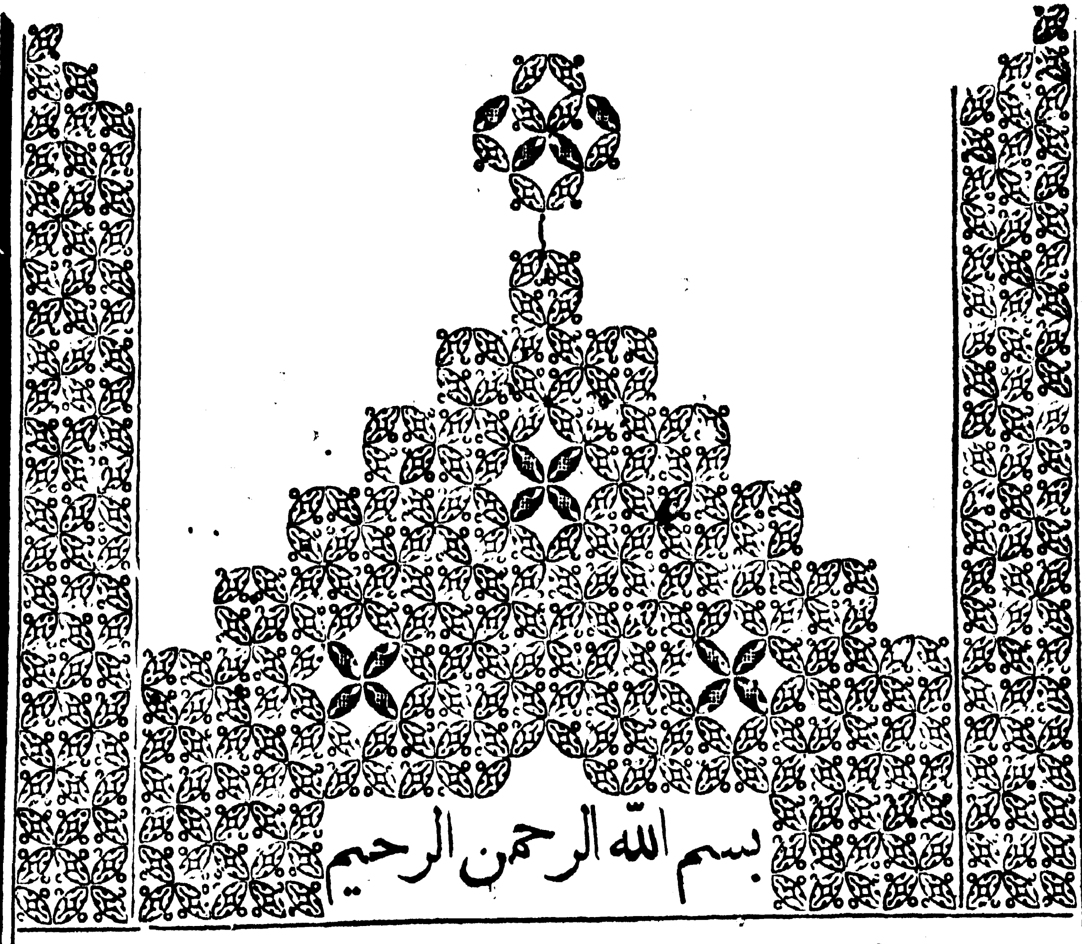


(اعلام النبوة)

للشيخ الامام العلامة القدوة أبى الحسن
على بن محمد الماوردى الشافعى
تغمده الله برحمته وأفاض
علينا من بركته
آمين

(قال فى كشف الظنون)

اعلام النبوة للشيخ الامام أبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ وهو مختصر أوله (الحمد لله الذى أحكم ماخلق الخ) اشتمل على أمرين أحدهما فيما اختص باعلام النبوة والثانى فيما يختلف من أقسامها وأحكامها مشتملا على أحد وعشرين بابا



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحكم ما خلق وقدّر وعدل فيما قسم ودبر وأنذر بما أنشأ وأظهر واستأثر بما أخفى وأسر وأنعم بما أمر وحظر وأرشد الى انذاره بنوعي تفضيل تميز بهما جنس البشر عن كل حيوان بهيم وهما نطق يفضي الى الفهم وعقل يؤدّي الى العلم ليعان بهما على ما كلف من أوان التعبد فيصل بالعقل الى علمه واستعلامه وبالنطق الى فهمه واستفهامه فيصير مهيأ لقبول ما كلف من التعارف ومعانا على ما تعبد به من الشرائع نعمة بها قطع الاعذار وعم بها المصالح ليكون الخلق على رغب يدعوهم الى الطاعة ورهب يكفهم عن المعصية فيعم الخير بالرغبة وينحسم الشرّ بالرهبة وهذا لا يستقرّ في النفوس الا برسل مبلغين عن الله ثوابه فيما أمر وعقابه فيما حظر فوجب أن يوضح في اثبات النبوات ما ينتفي عنه ارتياب مغرور وشبهة معاند * وقد جعلت كتابي هذا مقصورا على ما أفضى ودل عليه ليكون عن الحق موضحا وللسرائر مصلحا وعلى صحة النبوة دليلا ولشبه المستريب مزيلا وجعلت ما تضمنه مشتملا على أمرين

أحدهما ما اختص باثبات النبوة من اعلامها والثانى فيما يختلف من أقسامها وأحكامها ليكون الجمع بينهما أنفى للشبهة وأبلغ فى الابانة وجعلت ما تضمنه هذا كتابا مشتملا على أحد وعشرين بابا (الباب الاول) فى مقدمة الادلة (الباب الثانى) فى معرفة الاله المعبود (الباب الثالث) فى صحة التكليف (الباب الرابع) فى اثبات النبوات (الباب الخامس) فى مدة العالم وعدة الرسل عليهم الصلاة والسلام (الباب السادس) فى اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب السابع) فيما يتضمنه القرآن من أنواع اعجازه (الباب الثامن) فى معجزات عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب التاسع) فيما شوهد من معجزات أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب العاشر) فيما سمع من معجزات أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب الحادى عشر) فيما أكرمه الله تعالى به من اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب الثانى عشر) فى انذاره بما يستحدث بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب الثالث عشر) فى معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم (الباب الرابع عشر) فى ظهور المعجز من الشجر والجماد (الباب الخامس عشر) فى بشائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب السادس عشر) فى هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب السابع عشر) فيما هجست النفوس به من الهام العقول بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب الثامن عشر) فى مبادئ نسبه وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب التاسع عشر) فى آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب العشرون) فى شرف أخلاقه وكمال فضائله (الباب الحادى والعشرون) فى مبتدا بعثته واستقرار نبوته * وأنا أسأل الله تعالى حسن معونته وأرغب اليه فى توفيقه وهدايته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحابته وهو حسبى ونعم الوكيل

﴿الباب الاول فى مقدمة الادلة﴾

والادلة ما أوصلت الى العلم بالمدلول عليه والدليل معلوم بالعقل والمدلول عليه معلوم بالدليل فيكون العقل موصلا الى الدليل وليس بدليل لان العقل أصل كل

معلوم من دليل ومدلول عليه ولذلك سمى أم العلم فصار العقل مستدلا وان لم يكن دليلا والعلم الحادث عنه ما تميز به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والممكن من الممتنع وهو على ضربين علم اضطرار وعلم اكتساب فأما علم الاضطرار فهو ما أدرك ببداهة العقول وهو نوعان خفى ظاهر وخبر متواتر وعلم الحس متأخر عن العقل وعلم الخبر متقدم عليه ولا يفتقر علم الاضطرار الى نظر واستدلال لادراكه ببديهة العقل ويشترك فيه الخاصة والعامة ولا يتوجه اليه جحود ولا تحسن المطالبة فيه بدليل لانه غاية لتناهى النظر

(فصل) وأما علم الاكتساب فطريقه النظر والاستدلال لانه غير مدرك ببديهة العقل فصح أن يتوجه اليه الاعتراض فيه بطلب الدليل عليه فلذلك لم يتوصل اليه الا بالنظر والاستدلال وهو على ضربين أحدهما ما كان من قضايا العقول والثانى ما كان من أحكام السمع فأما قضايا العقول فضربان أحدهما ما علم استدلالا بضرورة العقل والثانى ما علم استدلالا بدليل العقل فأما المعلوم بضرورة العقل فهو ما لا يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضرورى وان كان عن استدلال للوصول اليه بضرورة العقل وأما المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كآحاد الانبياء اذا ادعى النبوة فيوجب علم الاستدلال ولا يوجب علم الاضطرار لحدوثه عن دليل العقل لا عن ضرورته واختلف فى أصل النبوات على العموم هل يعلم بضرورة العقل أو بدليله على اختلافهم فى التعبد بالشرائع هل اقترن بالعقل أو بعقبه فذهب من جعله مقترنا بالعقل الى اثبات عموم النبوات بضرورة العقل وذهب من جعله متأخرا عن العقل الى اثباتها بدليل العقل وذهب أصحاب الالهام الى اسقاط الاستدلال بقضايا العقول وجعلوا اثبات المعارف بالالهام أصلا يغنى عن أصل وهذا فاسد بقول الله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار فجعله بالاعتبار مدركا دون الالهام ويقال لمن أثبت المعارف بالالهام لم قلت بالالهام فان استدل ناقض فان قال قلته بالالهام قيل له انفصل عمن أسقط الالهام بالالهام وعمن قال فى الالهام بغير الهامك فى جميع أقوالك فلا تجد فصلا وكفى بذلك فسادا

(فصـــل) فاذا ثبت ان كلا الضربين مدرك بقضية العقل فما علم بضرورته من التوحيد أو بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا واختلف في وجوبه هل وجب بما صار معلوما به من قضية العقل أو بالسمع فذهب قوم الى وجوب التوحيد والنبوة بالعقل كما علم بالعقل ويكون التوحيد وعموم النبوات قبل السمع فرضا وذهب آخرون الى وجوبهما بالسمع وان علما بالعقل لان الوجوب تعبد لا يثبت الا بالسمع واختلف من قال بهذا في وجوب ورود السمع به فاوجبه بعضهم ولم يوجبه آخرون منهم وأسقطوا فرض التوحيد عن العقلاء اذا لم يرد سمع بايجابه وذهب آخرون الى ان ما علم بضرورة العقل من التوحيد واجب بالعقل وما علم بدليل العقل من النبوة واجب بالسمع لان التوحيد أصل والنبوة فرع والاجتهاد فيهما فرض على أعيان ذوى العقول اذا اقترن بكمال عقله قوة الفطنه وصحة الرويه فيستغني بكمال عقله وصحة رويته عن تنبيه ذوى العقول الوافرة ليصل باجتهاد عقله من اضطرار أو استدلال الى قضايا العقول ليصير عالما بها ومستغنيا عن عقل غيره فيها وان ضعفت فطنته وقلت رويته لزمه أن يتنبه بذوى العقول على الوصول اليها بعقله لا بعقولهم فيعلمها بالتنبيه كما علمها غيره بالنظر وان لم يصل اليها بالتنبيه فليس بكامل العقل ويصير تبعا لذوى العقول لان عدم الموجب دال على سقوط الموجب

(فصـــل) والعقل هو ما أفاد العلم بموجباته وقيل بل هو قوة التمييز بين الحق والباطل وقيل هو العلم بخفيات الامور التى لا يوصل اليها الا بالاستدلال والنظر وهو ضربان غريزى هو أصل ومكتسب هو فرع فأما الغريزى فهو الذى يتعلق به التكليف ويلزم به التعبد وأما المكتسب فهو الذي يؤدى الى صحة الاجتهاد وقوة النظر ويمتنع أن يتجرد المكتسب عن الغريزى ولا يمتنع أن يتجرد الغريزى عن المكتسب لان الغريزى أصل يصح قيامه بذاته والمكتسب فرع لا يصح قيامه الا باصله ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلا لانه من نتائجه ولا اعتبار بالنزاع فى التسمية اذا كان المعنى مسلما

(فصـــل) وأما أحكام السمع فمأخوذة عمن يلزم طاعته من الرسل والعقل

مشروط في التزامها وان لم يكن السمع مشروطا في قضايا العقول وما يتضمنه السمع نوعان تعبد وانذار فالتعبد الاوامر والنواهي والانذار الوعد والوعيد فان جمع الرسول بين التعبد والانذار فهو الشرع الكامل المغني عن غيره وان انفرد بالتعبد دون الانذار فان تقدمه انذار غيره كمل الشرع بتعبده وانذار من تقدمه وان لم يتقدمه انذار من غيره اما في مبادي النبوات أو في من لم تبلغهم دعوة الانبياء فقد اختلف في قضايا العقول هل تقتضي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فذهب فريق الى اقتضائها الذلك فعلى هذا يكون شرعا كمل بتعبد الرسول وانذار العقول وذهب فريق الى أن قضايا العقول لا تقتضي ثوابا ولا عقابا فعلى هذا اختلف في التعبد هل يكون مستحقا على ما تقدم من نعم الله تعالى على خلقه أو الجزاء مستقبل فذهب فريق الى استحقاقه بسابق النعمة فان وعد الله تعالى ثوابا عليه كان تفضلا منه يستحق بالوعد دون التعبد فعلى هذا يكون التعبد فرضا مستحقا يقتضي تركه عقابا وان لم يقتض فعله ثوابا وذهب آخرون الى استحقاقه بما يقابله من الجزاء بالثواب عليه وما تقدم من النعمة تفضل منه فعلى هذا يكون التزام التعبد مستحبا وليس بمستحق فلا يلزم على تركه عقاب كما لم يستحق على فعله ثواب لانه لم يقترن به وعد بثواب يوجب التزام التعبد وان انفرد الرسول بالانذار دون التعبد فالانذار لا يكون الا على فعل والا كان عبثا لا يصدر عن كليم فان كان انذاره على شرع تقدمه تضمن انذاره اثبات ذلك الشرع وكان هذا المنذر من أمة ذلك المتعبد وان كان المتعبد قد أنذر كان هذا الانذار تأكيدا ولم يحتج هذا المنذر الى اظهار معجز وان لم يكن المتعبد قد أنذر تكامل شرع المتعبد بانذار المتأخر وتكامل انذار المتأخر بتعبد المتقدم واحتاج هذا المنذر الى اظهار معجز الى انذاره موجب لكمال الشرع وان أنذر المتأخر على فعل الخير واجتناب الشر خرج عن حكم الشرع الى الوعظ والزجر بأمر إلهي يستحق له بسط اليد في الانكار واستيفاء ما تضمنه الانذار

﴿ الباب الثاني في معرفة الاله المعبود ﴾

لا يصح التعبد ببعثة الرسل إلا بعد معرفة المعبود المرسل ليعلم انهم رسل مطاع

معبود

معبود فيطاعو الفرض طاعة المعبود والمعبود هو الله عز وجل المنعم على عباده بما كلفهم من عبادته وافترض عليهم من طاعته بعد النعمة عليهم بخلق ذواتهم والارشاد الى مصالحهم واستودعهم علم اضطرار يدرك ببداية العقول وعلم اكتساب يدرك بالفكر والنظر ولما كانوا محجوبين عن ذاته لم يدركوه ببداية الحواس اضطرارا وقد ظهر من اظهار آثار صنعته واتقان حكمته ما يوصل الى معرفة ذاته وصفاته اكتسابا بالادراكها بالاعتبار والنظر ولو شاء الخالق ما يدرك ببداية الحواس لكن معرفته بالاستدلال أبلغ في الحكمة لظهور التباين في الرتبة فلذلك ما امتنع الوصول الى معرفته اضطرارا ووصل اليها استدلالا واكتسابا يخرج عن بداية العقول الى استدلال معقول * والذي يؤدي الى معرفته جل جلاله ثلاثة فصول * أحدها أن العالم محدث وليس بقديم والثاني أن للعالم محدثا قديما والثالث انه واحد لا شريك له * فاما الفصل الاول * في حدوث العالم فالمحدث ما كان له أول والقديم مالا أول له والدليل على حدوث العالم شيآن أحدهما ان العالم جواهر وأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة من اجتماع وافتراق وحركة وسكون وانما كانت الاعراض محدثة لامرين أحدهما انه لا يصح قيامها بذواتها والثاني لوجودها بعد عدمها وزوالها بعد وجودها ومالم ينفك عن الاعراض المحدثة لم يسبقها الانه لو سبقها لكان لا مجتمعا ولا مفترقا ولا متحركا ولا ساكنا وهذا مستحيل فاستحال سبقه ومالم يسبق المحدث فهو محدث (فان قيل) فليس يستنكر أن تكون الحوادث الماضية لا أول لها فلم يلزم حدوث العالم (قيل) اذا كان لكل واحد من الحوادث أول استحال أن لا يكون لجميعها أول لانها ليست غير آحادها فصار جميعها محدثة لانها ذوات أوائل محدثة والدليل الثاني على حدوث العالم وجوده محدودا متناهي الاجزاء والابعاض وما تناهت أجزاؤه وأمكن توهم الزيادة عليه والنقصان منه كان تقديره على ما هو به دليلا على أن غيره قدره اذ ليس كون ذاته على صفة بأولى من كونه على غيرها ولا تدبر غيره لها (فان قيل) فلم لا كانت طينته قديمة وأعراض تركيبه وتصويره حادثة كأفعال الله تعالى حادثة عن ذاته القديمة (قيل) لان حدوث اعراضه فيه وهو لا ينفك منها

فصار محدثا بها وأفعال الله تعالى حادثة في غيره فلم يمنع حدوثها من قدمه ولو حدثت فيه لمنعت من قدمه ﴿وأما الفصل الثاني﴾ ان للعالم محدثا قديما فالدليل على أن له محدثا قديما شيآن أحدهما انه لما استحال أن يكون العالم محدثا لذاته لافضائه الى وجوده قبل حدثه دل على أن محدثه غيره والثاني ان وجود ما لم يكن يوجب أن يقتضي موجدا كما اقتضى المبني بانيا والمصنوع صانعا والدليل على قدم محدثه شيآن أحدهما انه لا أول له وما لا أول له قديم والثاني انه لو لم يكن قديما لاحتاج الى محدث ولاحتاج محدثه الى محدث ولا يتنهي الى ما لا غاية له فامتنع وثبت قدمه انه لم يزل ولا يزال فلم يكن له أول ولا يكون له آخر واذا كان محدثه قديما وجب أن يكون قادرا مريدا والدليل على قدرته انه يصح منه أن يفعل ولا يفعل مع انتفاء الموانع وقد فعل فدل وجود الفعل منه على قدرته عليه والدليل على انه مريد انه لما وجد منه الفعل وهو غير ساه ولا مكره ولا عابث لانتفاء السهو عنه بعلمه وانتفاء الاكراه عنه بقدرته وانتفاء العبث عنه بحكمته دل على ارادته كما كانت كتابة الكاتب مع انتفاء هذه العوارض دليلا على ارادة كتابته فصار احداثه للعالم دليلا على قدمه وحدوث أفعاله وقدمه يوجب أن تكون صفات ذاته قديمة لقدمه وحدوث أفعاله يوجب أن تكون صفات أفعاله محدثة ﴿وأما الفصل الثالث﴾ انه واحد لا شريك له ولا مثل فالدليل عليه شيآن أحدهما ان عموم قدرته شامل لجميع المحدثات فوجب أن يكون محدث بعضها محدثا لجميعها اذ ليس بعضها بأخص بقدرته من بعض فأوجب تكافؤ الامرين عموم الجميع والثاني أنه لو كان معه غيره لم يخل أن يكون مماثلا أو مخالفا فان خالفه بطل أن يكون قادرا وان ماثله استحال وجود احداث واحد من محدثين كما استحال وجود حركة واحدة من متحركين وذهب الثنوية من المتباينة الى اثبات قديمين هما عندهم نور وظلمة يحدث الخير عن النور والشر عن الظلمة وهذا فاسد من وجهين أحدهما ان النور والظلمة لا ينفكان أن يكونا جسما أو جوهرا أو عرضا وجميعها محدثة فدل على حدوثهما والثاني أن الظلمة ليست بذات وانما هي فقد النور عما يقبل النور ولهذا اذا فقدنا النور في الهواء تصورناه مظلما

فلم

فلم يجز أن يوصف بقدم ولا يضاف اليه فعل وذهب المجوس الى أن الله تعالى والشيطان فاعلان فالله تعالى فاعل الخير وخالق الحيوان النافع والشيطان فاعل الشر وخالق الحيوان الضار قالوا لان فاعل الشر شرير ويتعالى الله عن هذه الصفة وجعلوا الله تعالى جسما وان كان قديما واختلفوا فى قدم الشيطان فقال به بعضهم وامتنع من قدمه زرادشت وأكثرهم واختلفوا فى علة حدوثه فزعم زرادشت أن الله تعالى استوحش ففكر فكرة رديئة فتولد منها اهرمن وهو ابليس. وقال غيره بل شك فتولد الشيطان من شكه وقال آخرون بل حدث عفن فتولد الشيطان من عفنه وهذه أقاويل تدفعها العقول فأما جعلهم الله تعالى جسما فدليلنا على حدوث الاجسام يمنع أن يكون الله تعالى مع قدمه جسما * ودليلنا على الثنوية يمنع أن يكون الشيطان معه ثانيا واثبات قدرته يمنع أن يكون مغلوبا وعلمه يمنع أن يكون شاكا أو مفكرا وانتفاء الحزن عنه يمنع أن يكون مستوحشا وامتناع الفساد عليه يمنع أن يكون عفنا وقولهم ان فاعل الشر شرير قيل خروجه عن قدرته مثبت لعجزه فوجب أن يدخل فى عموم قدرته

(فصـــــل) فأما النصارى فقد كانوا قبل أن تنصر قسطنطين الملك على دين صحيح فى توحيد الله تعالى ونبوة عيسى عليه السلام ثم اختلفوا فى عيسى بعد تنصر قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم فقال أوائل النسطورية ان عيسى هو الله وقال أوائل اليعاقبة انه ابن الله وقال أوائل الملكانية ان الآلهة ثلاثة أحدهم عيسى ثم عدل أواخرهم عن التصريح بهذا القول المستنكر حين استنكرته النفوس ودفعته العقول فقالوا ان الله تعالى جوهر واحد هو ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانها واحدة فى الجوهرية وان أقنوم الاب هو الذات وأقنوم الابن هو الكلمة وأقنوم روح القدس هو الحياة واختلفوا فى الاقانيم فقال بعضهم هى خواص وقال بعضهم هى أشخاص وقال بعضهم هى صفات وقالوا ان الكلمة اتحدت بعيسى واختلفوا فى الاتحاد فقال النسطورية معنى الاتحاد أن الكلمة ظهرت حتى جعلته هيكلا وان المسيح جوهران اقنومان أحدهما الهى والآخر انسانى فلذلك صح منه

الافعال الالهيـة من اختراع الاجسام واحياء الموتى والافعال الانسانيـة من
الاكل والشرب وقالت اليعاقبـة الاتحاد هو الممازجة حتى صار منهما شئ ثالث نزل
من السماء وتجسـد من روح القـدس وصار انسانا هو المسـيح وهو جوهر من
جوهرين وأقنوم من أقنومين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى وقال الملـكانيـة
المسيح جوهران اقنوم واحـد وليس لهـذه المذاهب شبهة تقبلها العـقول
وفسادها ظاهر فى المعقول * أما قولهم ان الله تعـالى جوهر فقد دللنا على حدوث
الجواهر فاستحال أن يكون القديم جوهرا وأما قولهم انه ثلاثة أقانيم فان جعلوها
أشخاصـا قالوا بالتثليث وامتنعوا من التوحيـد وقد دللنا على ان القديم واحد
وان جعلوا الاقانيم خواص وصـفات لذات واحدة فقد جعلوه أبا وابنا من جوهر
أبيه فشركوا بينهما فى الجوهر الالهى وفضلوه على الاب بالجوهر الانسانى فلم يكن
مع اشتراكهما فى الجوهر الالهى أن يتولد من الاب بأولى أن يتولد منه الاب مع
تفضيله بالجوهر الانسانى وكيف يكون قديمـا ما تولد عن قديم وانما ظهرت منه
الافعال الالهيـة لانها من قبل الله تعالى اظهارا لمعجزته وليست من فعـله كفلق
البحر لموسى عليه السـلام وليس ذلك من إلهية موسى وقولهم جوهر لاهوتى
وجوهر ناسوتى فناسوت المسـيح كناسوت غـيره من الانبياء وقد زال ناسوته
فبطل لاهوته

﴿ فصـــل ﴾ فاذا ثبت ان الله تعالى واحد قديم فقد اختلف فى معنى وحدانيته
فقالت طائفـة المراد بأنه واحـد ان جميع المحدثات منسوبة الى قدرة واحـدة
أحدث القادر بها جميع المحدثات وقالت طائفـة أخرى المراد به نفى القسمة عن
ذاته واستحال التبعض والتجزئة فى صفته وقال الجمهور وهو المذهب المشـهور
انه واحد الذات قديم الصفات تفرد بالقدم عن شريك مماثل واختص بالقدرة
عن فاعل معادل لا شـبه لذاته تنتفى عنه الحوادث والاعراض ولا تنـاله المنافع
والمضار ولا ينعت بكل ولا بعض ولا يوصف بمكان يحل فيه أو يخلو منه لحدوث
الامكنة واستحالة التجزئة ليس كمثـله شئ وهو السميع البصـير كما وصف نفسه
فى كتابه ودلت عليه آثار صـنعته واتقان حكمته وقد سـئل على بن أبى طالب

كرم

كرّم الله تعالى وجهه عن العدل والتوحيد فقال التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه ففصح بما بهر ايجازه وقهر اعجازه وقد لحظ دلائل التوحيد من السعداء من قال

أيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شئ له شاهد * دليل على انه واحد

(الباب الثالث في صحة التكليف)

التكليف هو الزام ما ورد به الشرع تعبدا وهو نوعان أحدهما ما تعلق بحقه من أمر بطاعة ونهى عن معصية والثاني ما تعلق بحقوق عباده من تحديد الحقوق وتقرير العقود ليكونوا مدبرين بشرع مسموع ومنقادين لدين متبوع فلا تختلف فيه الآراء ولا تتبع فيه الاهواء وليعلموا به ابتداء النشأة وانتهاء الرجعة فتصلح به سرائرهم الباطنة وتخشع له قلوبهم القاسية وتجتمع به كلمتهم المتفرقة وتتفق عليه أحوالهم المختلفة ويسقط به تنازعهم في الحقوق المتجاذبة ويكونوا على رغب في الثواب يبعثهم على الخير ورهب من العقاب يكفهم عن الشر وهذه أمور لا يصلح الخلق الا عليها ولا يوصل بغير الدين المشروع اليها اذ ليس في طباع البشر أن يتفقوا على مصالحهم من غير وازع ولا يتناصفوا في الحقوق من غير دافع لحرصهم على اختلاف المنافع وبهذا يفسد ما ذهبت اليه البراهمة من الاقتصار على قضايا العقول وابطال التعبد بشرائع الرسل فالتكليف حسن في العقول اذا توجه الى من علمت طاعته واختلف في حسنه اذا توجه الى من علمت معصيته واستحسنه المعتزلة لان فيه تعريضا للثواب ولم يستحسنه الاشعرية لانه بالمعصية معرض للعقاب والاول أشبه بمذهب الفقهاء وان لم يعرف لهم فيه قول يحكى واختلف في التكليف هل يكون معتبرا بالاصلح فالذي عليه أكثر الفقهاء انه معتبر بالاصلح لان المقصود به منفعة العباد وذهب فريق من الفقهاء والمتكلمين الى انه موقوف على مشيئة الله تعالى من مصلحة وغيرها لانه مالك لجميعها فمن اعتبر الاصلح منع من تكليف ما لا يطاق ومن اعتبره بالمشيئة جوز تكليف ما لا يطاق ويصح تكليف ما لحقت فيه المشقة المحتملة واختلف في صحة التكليف فيما لا مشقة فيه فجوزها الفقهاء

ومنع منها بعض المتكلمين وقد ورد التعبد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وليس فيه مشقة واذا اعتبر التكليف بالاستطاعة لم يتوجه الى ما خرج عن الاستطاعة واختلف فى المانع منه فقال فريق منع منه العقل لامتناعه فيه وقال فريق منع منه الشرع وان لم يمنع منه العقل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها

(فصل) فاذا تقرر شروط التكليف مع كونه حسنا فقد اختلف فى وجوبه فاوجبه من اعتبر الاصلح وجعله مقترنا بالعقل لانه من حقوق حكمته ولم يوجبه من حمله على الارادة لان الواجب يقتضى علو الموجب وهذا منتف عن الله تعالى واختلف من قال بهذا فى تقدم العقل على الشرع فقال فريق يجوز أن يقترن بالعقل ويجوز أن يتأخر عنه بحسب الارادة ولا يجوز أن يتقدم على العقل لان العقل شرط فى لزوم التكليف وقال فريق بل يجب أن يكون التكليف واردا بعد كمال العقل ولا يقترن به كما يتقدم عليه لقول الله تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدا وهذه صفة متوجهة اليه بعد كمال عقله

(فصل) وقد استقر بما قدمناه ان التكليف الشرعى ما تضمنه الاوامر والنواهى فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده والمأمور به ضربان واجب وندب فالواجب ما وجب أن يفعل والندب ما الاولى أن يفعل والمنهى عنه ضربان مكروه ومحظور فالمحظور ما وجب تركه والمكروه ما الاولى تركه فأما المباح فما استوى فعله وتركه فلا يجب أن يفعل ولا الاولى أن يفعل ولا يجب أن يترك ولا الاولى أن يترك واختلف فى دخول المباح فى التكليف فذهب بعض أصحاب الشافعى رحمه الله الى دخوله فى التكليف واختلف قائل هذا هل دخل فيه باذن أو بأمر على وجهين أحدهما باذن ليخرج حكم الندب والثانى بأمر دون أمر الندب كما ان أمر الندب دون أمر الواجب وذهب آخرون من أصحاب الشافعى رحمه الله الى خروجه من التكليف باذن أو أمر لاختصاص التكليف بما تضمنه ثواب أو عقاب واتفقوا فى المباح انه لا يستحق عليه حمد ولا ذم ويخرج عن القبيح واختلفوا فى دخوله فى الحسن فأدخله بعضهم فيه وأخرجه بعضهم منه

(فصــل) والامر بالتكليف هو استدعاء الطاعة بالانقياد للفعل واختلفوا في اقتران الارادة به هل يكون شرطا في صحته فذهب الاشعري الى ان الارادة غير معتبرة فيه ويجوز أن يأمر بما لا يريده ويكون أمرا كالذي يريده وذهب المعتزلة الى أنه لا يكون أمرا الا بالارادة فان لم تعلم ارادته لم يكن أمرا واختلفوا هل تعتبر ارادة الافراد او ارادة المأمور به فاعتبر بعضهم ارادة الامر المنطوق به واعتبر آخرون منهم ارادة الفعل المأمور به والذي عليه جمهور الفقهاء ان الامر دليل على الارادة وليست الارادة شرطا في صحة الامر وان كانت موجودة مع الامر فيستدل بالامر على الارادة ولا يستدل بالارادة على الامر .

(فصــل) ومن صحة الامر أن يكون بما لا يمنع منه العقل فان منع منه العقل لم يصح الامر به لخروج التكليف عن محظورات العقول واختلف هل يعتبر صحته بحسنه في العقل فاعتبره فريق وأسقطه فريق واذا لم يكن يستوعب نصوص الشرع قضايا العقول كلها جاز العمل بمقتضى العقل فيها واختلف في الحاقها باحكام الشرع فألحقها فريق بها وجعلها داخلة فيها لان الشرع لا يخرج عن مقتضاها وأخرجها فريق منها وان جاز العمل بها كالمشروع لان الشرع مسموع والعقل متبوع .

(فصــل) والامر يكون بالقول أو ما قام مقام القول اذا عقل منه معنى الامر واختلف فيه متى يكون أمرا فذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون أمرا وقت القول ويتقدم على الفعل وذهب شاذ من الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون أمرا وقت الفعل وما تقدمه من القول اعلام بالامر وليس بأمر وهذا فاسد لان الفعل يجب بالامر فلو لم يكن ما تقدمه أمرا لاحتاج مع الفعل الى تجديد أمر

(فصــل) والامر ضربان أمر اعلام وأمر الزام فاما أمر الاعلام فيختص بالاعتقاد دون الفعل ويجب أن يتقدم الامر على الاعتقاد بزمان واحد وهو وقت العلم به وأما أمر الالزام فمتوجه الى الاعتقاد والفعل فيجمع بين اعتقاد الوجوب وايجاد الفعل ولا يجزيه الاقتصار على أحدهما فان فعله قبل اعتقاد

وجوبه لم يجزه وان اعتقد وجوبه ولم يفعله كان مأخوذا به ولا يلزم تجديد الاعتقاد
عند فعله اذا كان على ما تقدم من اعتقاده لان الاعتقاد تعبد التزام والفعل تأدية
مستحق ويجب أن يتقدم الامر على الفعل بزمان الاعتقاد واختلف فى اعتبار
تقديمه بزمان التأهب للفعل على مذهبين أحدهما وهو قول شاذ من الفقهاء
يجب تقديمه على الفعل بزمانين أحدهما زمان الاعتقاد والثانى زمان التأهب
للفعل وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة قبل الفعل والمذهب الثانى وهو
قول جمهور الفقهاء يعتبر تقديم الامر على الفعل بزمان الاعتقاد وحده والتأهب
للفعل شروع فيه فلم يعتبر تقدمه عليه وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة
مع الفعل

(الباب الرابع فى اثبات النبوات)

والانبياء هم رسل الله تعالى الى عباده بأوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته
العقول من واجباتها والزاما لما جوزته من مباحاتها لما أراده الله تعالى من
كرامة العاقل وتشريف أفعاله واستقامة أحواله وانتظام مصالحه حين
هيأه للحكمة وطبعه على المعرفة ليجعله حكيما وبالعواقب عليما لان الناس
بنظرهم لا يدركون مصالحهم بانفسهم ولا يشعرون لعواقب أمورهم
بغرائزهم ولا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين
وأخبار القرون الماضين فتكون آداب الله فيهم مستعملة وحدوده فيهم
متبعة وأوامره فيهم ممتثلة ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص من غبر من
الامم واعظا فان الاخبار العجيبة اذا طرقت الاسماع والمعانى الغريبة اذا
أيقظت الاذهان استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها وأكثر الناس
سماعا أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا
أكثرهم علما وأكثرهم علما أكثرهم عملا فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل
ولا منهم فى انتظام الحق بدل وأنكر فريق من الامم نبوات الرسل وهم فيها
ثلاثة أصناف أحدها ملحدة دهرية يقولون بقدم العالم وتدبير الطبائع فهم
بانكار المرسل أجدر أن يقولوا بانكار الرسل والصنف الثانى براهمة موحدة

يقولون بحدوث العالم و يجحدون بعثة الرسل و يبطلون النبوات وهم المنسوبون
الى بهرمن صاحب مقالتهم وشذ فريق منهم فادعى انه آدم أبو البشر ومنهم
من قال هو ابراهيم ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم انه أحد هذين أقر
بنبوتهما وأنكر نبوة من سواهما وجمهورهم على خلاف هذه المقالة فى اعتزائهم
لصاحب مقالتهم وانكار جميع النبوات عموما والصنف الثالث فلاسفة
لا يتظاهرون بابطال النبوات فى الظاهر وهم مبطلوها فى تحقيق قولهم لانهم
يقولون ان العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة يضعها
من كملت رياضته به اذا كان عليها مطبوعا واختلف من أبطل النبوات فى علة
ابطالها فذهب بعضهم الى ان العلة فى ابطالها ان الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت
عليه العقول من لوازم ما تأتى به الرسل وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه لا يمنع
ما دلت عليه العقول جواز أن تأتى به الرسل وجوبا ولو كان العقل موجبا
لما امتنع أن تأتى به الرسل وجوبا ولو كان العقل موجبا لما امتنع أن تأتى به
الرسل تأكيدا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ولا يمنع وجود بعضها من
وجود غيرها والثانى انه لا تستغنى قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين
أحدهما ان قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثة الرسل
اختلافها والثانى أنه لا مدخل للعقول فيما تأتى به الرسل من الوعد والوعيد
والجنة والنار وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله فلم يغن عن
بعثة الرسل وذهب آخرون منهم الى ان العلة فى ابطال النبوات ان بعثة الرسل
الى من يعلم من حالهم انهم لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث يمنع من حكمة الله
تعالى وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله
كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثا وان كان منهم
من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل والثانى ان وجود من يقبله فيهم
على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ومن
لا يقبل فبطل هذا التعليل وقال آخرون منهم بل العلة فيه ان ما جاء به الرسل
مختلف ينقض بعضه بعضا ونسخ المتأخر ما شرعه المتقدم وقضايا العقول لا تتناقض

فلم يرتفع بما يختلف ويتناقض وهذا فاسد من وجهين أحدهما ان ما جاء به الرسل ضربان أحدهما مالا يجوز أن يكون الا على وجه واحد وهو التوحيد وصفات الرب والمربوب فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه والضرب الثانى ما يجوز أن يكون من العبادات على وجه ويجوز أن يكون على خلافه ويجوز أن يكون فى وقت ولا يجوز أن يكون فى غيره وهذا النوع هو الذى اختلفت فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم اما بحسب الاصلح واما بحسب الارادة وهذا فى قضايا العقول جائز والوجه الثانى ان قضايا العقول قد تختلف فيها العقلاء ولا يمنع ذلك أن يكون العقل دليلا كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة وقال آخرون منهم بل العلة فى ابطال النبوات انه لا سبيل الى العلم بصحتها الغيبها او ان ظهور ماليس فى الطباع من معجزاتهم ممتنع الطباع الدافعة لها فهذا فاسد من وجهين أحدهما ان المعجزات من فعل الله تعالى فيهم فخرجت عن حكم طباعهم والثانى انهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز وقال آخرون منهم بل العلة فى ابطال النبوات ان ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله فى أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم فكذلك أحكام المعجزات وهذا فاسد من وجهين أحدهما أن الشعبذة تظهر لذوى العقول وتندلس على الغر الجهول فخالفت المعجزة التى تذهل لها العقول والثانى ان الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها فيصير مكافيا لمن أحسنها او يعارضه بامثالها والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا يعارضه أحد بمثلها كما انقلبت عصى موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة فخروا له سجدا ولئن كان فى ابطاله هذه الشبهة دليل على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة أوجه وان اشتملت تلك الاجوبة على بعضها أحدها ان الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم اليه من المصالح ولما كان فى بعثة الرسل مالا تدركه العقول كان ارسالهم من عموم المصالح التى تكفل بها والثانى ان فيما تأتى به الرسل من الجزاء بالجنة ثوابا على الرغبة فى فعل الخير وبالنار عقابا يبعث على الرهبة فى الكف عن الشر صار اسببا

لائتلاف الخلق وتعاطي الحق والثالث ان في غيوب المصالح مالا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد بهم مالم يستفد بالعقل والرابع ان التأله لا يخلص الا بالدين والدين لا يصلح الا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلف والخامس ان العقول ربما استكبرت من موافقة الاكفاء ومتابعة النظراء فلم يجمعهم على الاطاعة المعبود فيما أداه رسله فصارت المصالح بهم أعم والائتلاف بهم أتم والشمل بهم أجمع والتنازع عنهم أمنع ويجوز اثبات التوحيد والنبوات بدقيق الاستدلال كما يجوز بجليه فان ما دق في العقول هو أبلغ في الحكمة وقد تلوح لابن الرومي هذا المعنى فنظمه في شعره فقال

غموض الحق حين يذب عنه * يقلل ناصر الخصم المحق

يجل عن الدقيق عقول قوم * فيقضي للمجل على المدق

(فصل) فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات فهم رسل الله تعالى الى خلقه اما بخطاب مسموع أو بسفارة ملك منزل ومنع قوم من مثبتي النبوات أن تكون نبوتهم عن خطاب أو نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية عنه تعالى لانه ليس بجسم والملائكة من العالم العلوي بسيط لا تهبط كما أن العالم السفلي كثيف لا يعلو واختلف من قال بهذا فيما جاءهم به أنبياء فقال بعضهم صاروا أنبياء بالالهام لا بالوحي وهذا فاسد من وجهين أحدهما أن ما بطل به الهام المعارف في التوحيد كان ابطال المعارف به في النبوة أحق والثاني ان الالهام خفي غامض يدعيه المحق والمبطل فان ميزوا بينهما طالبوا أمارة وان عدلوا عن الالهام فذاك دليل يبطل الالهام وقال آخرون منهم انما صاروا أنبياء لان لله تعالى في العالم خواص وأسرارا تخالف مجرى الطبائع فمن أظفره الله تعالى بها من خلقه استحق بها النبوة وهذا فاسد من وجهين أحدهما خفاؤها فيه غير دليل على صدقه والثاني انه يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه فصار كغيره وقال آخرون بل صاروا أنبياء لان الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الامور فلا يشتبه عليهم منها ما يشتبه على غيرهم فصاروا أنبياء عن عقولهم لا عن ربهم وهذا فاسد من وجهين أحدهما ان هذا يقتضي فضل العلم في حقه ولا يقتضيه في حق غيره

والثانى انه ان أخبر عن نفسه لم يكن رسولا وان أخبر عن ربه كان كاذبا وقال آخرون
انما صاروا أنبياء لان النور فيهم صفا وغلب بالنور الاعظم الالهى الذى تخلص به
الافهام وتصح به الاوهام حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية ويزول عنهم كدر
الطباع البشرية فيخرجوا عن شبه الكائنات بصفاء نورهم وخلاصهم وهذا قول
الثنوية وهذا فاسد من وجهين أحدهما انهم دفعوا أسهل الامرين من بعثة
الرسل بأغلظهما من اعطاء نوره وأولى أن يدفعوا عن الاغلظ بما دفعوا به عن
الاسهل والثانى انهم أثبتوا به ممازجة البارى سبحانه فيما اختص بذاته ومخالفة
الذات تمنع من ممازجته * والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمانية عمن
ليس بجسم من وجهين أحدهما انه لا يمتنع أن يظهر منه كخطاب الاجسام وان لم
يكن جسما كما يظهر منه كافعال الاجسام وان لم يكن جسما والثانى ان الله تعالى
يجوز أن يودع خطابه فى الاسماع حتى تعيه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى
أخفاها عن خلقه * والجواب عما ذكروه من أن جرم الملائكة علوى لا ينهبط من
وجهين أحدهما انه ليس يمتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم أرضى كثيف
اما بزيادة أو انقلاب كما يقولون فى العقل والنفس انهما جرمان علويان هبطا الى
الجسم لخلاف فيه والثانى أنهم يقولون بانقلاب الاجرام الطبيعيات فيقولون ان
الهوى المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا وان
الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء وان
الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا فاذا جاز
ذلك عندهم فى انقلاب الطبائع كان فى فعل الله تعالى أجوز وهو عليها أقدر ولا
يمكن أن يدفع أقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها وان خرج عن حجاج
أمثالنا لينتقض قولهم بقولهم فلا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول فما يضل
عن الدين الا قادح فى أصوله ومزرى على أهله

(فصل) فاذا ثبت أن النبوة لا تصح الا ممن أرسله الله تعالى بوحيه اليه
فصحتها فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته * أحدها ان
يكون مدعى النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها الصدق لهجته وظهور

فضله وكمال حاله فان اعتوره نقص أو ظهر منه كذب لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أماناتها * بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا يا خالد صف لنا محمدا قال بايجاز أم باطناب قالوا بايجاز قال هو رسول الله والرسول على قدر المرسل * والشرط الثاني اظهار معجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله لتكون مضاهية للافعال الالهية ليعلم أنها منه فيصح بها دعوى رسالته لانه لا يظهرها من كاذب عليه ويكون المعجز دليلا على صدقه وصدقه دليلا على صحة نبوته * والشرط الثالث أن يقرن بالمعجز دعوى النبوة فان لم يقترن بالمعجزة دعوى لم يصر بظهور المعجزة نبيا لان المعجز يدل على صدق الدعوى فكان صفة لها فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود الموصوف فان تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى عليه السلام في المهد تأسيسا لنبوته فاحتاج مع دعوى النبوة الى احداث معجز يقترن بها يدل على صدقه فيها وان تقدمت دعوى النبوة على المعجز اكتفى بحدوث المعجز بعدها عن اقترانه بها لان استصحابه للدعوى مقترن بالمعجز فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى لبعض الناس دون جميعهم نظر فان كانوا عددا يتواتر بهم الخبر ويستفيض فيهم الاثر كان الغائب عنه محجوجا بالمشاهد له في لزوم الاجابة والانقياد للطاعة كما يكون العصر الثاني محجوجا بالعصر الاول وان كان المشاهد للمعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الاثر لامكان تواطئهم على الكذب ويتوجه الى مثلهم الخطأ والزلل كان المعجز حجة عليهم ولم يكن حجة على غيرهم حتى يشاهدوا من المعجز ما يكونوا محجوجين به وسواء كان من جنس الاول أو من غير جنسه فان قصر من شاهد الاول عن عدد التواتر وقصر من شاهد الثاني عن عدد التواتر لم يثبت حكم التواتر فيهما ولا في واحد منهما لجواز الكذب على كل واحد من العددين

(فصل) واذا كان حجج الانبياء على أممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع الا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته اذا

وصل ذلك منه فى زمان التكليف وأما عند قيام الساعة اذا سقطت فيه أحوال التكليف فقد يظهر فيه من أشراطها ما يخرق العادة فلا يكون معجز المدعى نبوة وانما اعتبر فى المعجز خرق العادة لان المعتاد يشمل الصادق والكاذب فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب * واذا تقرر ان المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة فقد ينقسم ما خرج عن العادة على عشرة أقسام (أحدها) ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الاجسام وقلب الأعيان واحياء الموتى فقليل هذا وكثيره معجز لخروج قليله عن القدرة بخروج كثيره (والقسم الثانى) ما يدخل جنسه فى قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطى الارض البعيدة فى المدة القريبة فيكون معجزا لخرق العادة * واختلف المتكلمون فى المعجز منه فعند بعضهم ان ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز وعند آخرين منهم ان جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتميز منه (والقسم الثالث) ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالاخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا بشرطين أحدهما أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق والثانى أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه (والقسم الرابع) ما خرج نوعه عن مقدور البشر وان دخل جنسه فى مقدور البشر كالقرآن فى خروج أسلوبه عن أقسام الكلام فيكون معجزا بخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ويكون العجز مع القدرة على آلته من الكلام أبلغ فى المعجز (والقسم الخامس) ما يدخل فى أفعال البشر ويفضى الى خروجه عن مقدار البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع الحادث عن البذر فان برئ المرض المزمن لوقته واستحصد الزرع المتأكل قبل أوانه كان بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة (والقسم السادس) عدم القدرة عما كان داخلا فى القدرة كانذار الناطق بعجزه عن الكلام واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون ذلك معجزا يختص بالعاجز ولا يتعداه لانه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه (والقسم السابع) انطاق حيوان أو حركة جماد فان كان باستدعائه أو عن اشارته كان معجزا له وان ظهر بغير استدعاء ولا اشارة لم يكن معجزا له وان خرق العادة لانه ليس اختصاصه به بأولى من اختصاصه بغيره

وكان من نوادر الوقت وحوادثه (والقسم الثامن) اظهار الشئ في غير زمانه كاظهار فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فان كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يمكن استبقاؤهما كان معجزا سواء بدأ باظهاره أو طولب به (والقسم التاسع) انفجار الماء وقطع الماء المنفجر اذا لم يظهر بحدوثه أسباب من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به (والقسم العاشر) اشباع العدد الكثير من الطعام اليسير وارواؤهم من الماء القليل يكون معجزا في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه من التعليل وهذه الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الاعجاز متساوية الاحكام في ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما ادّعاه من النبوّة وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين كان دلائل التوحيد قد تختلف في الخفاء والظهور وان كان في كل منها دليل فاما فعل ما يقدر البشر على ما يقاربه وان عجزوا عن مثله فليس بمعجز لان الجنس مقدور عليه وانما الزيادة فضل حذق به كالصنائع التي يختلف فيها أهلها فلا يكون لأحذقهم بها معجز يجوز أن يدعي به النبوّة (فان قيل) فقد جاء زرادشت وبولص بآيات مبهرة ولم تدل على صدقهما في دعوى النبوّة (قيل) لانهما قد أكذبا أنفسهما بما ادّعياه في الله تعالى مما يدل على جهلهما به لان بولص يقول ان عيسى إله وزعم زرادشت ان الله تعالى كان وحده ولا شئ معه فحين طالت وحدته فكر فتولد من فكرته اهرمن وهو ابليس فلما مثل بين عينيه أراد قتله وامتنع منه فلما رأى امتناعه وادعه الى مدته وسالمه الى غايته ومن قال بهذا في الله تعالى ولم يعرفه لم يجز أن يكون رسولا له ثم دعوا الى القبائح والافعال السيئة كما شرع زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الامهات وعبادة النيران وكذلك بولص وماني نخذلهم الله تعالى ولو دعوا الى محاسن الاخلاق كانت الشبهة بهم أقوى والاغترار بهم أكثر ولكن الله تعالى عصم بالعقول من استرشدها وقاد الى الحق من أيقظه بها

(فصل) ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجز عن يجعله دليلا على صدقه في غير النبوّة وان كان فيه مطيعا لان النبوّة لا يوصل الى صدقه فيها الا بالمعجز لانه مغيب لا يعلم الا منه فاضطر الى الاعجاز في صدقه وغير النبوّة من أقواله وأفعاله قد يعلم

صدقه فيها بالعيان والمشاهدة وتخرج عن صورة الاعجاز وان نفدت ولأن تشتبه معجزات الانبياء بغيرها وأما مدعى الربوبية اذا أظهر آيات باهرة فقد ذهب قوم الى أنها قد تكون معجزة بطلت بكذبه فلم يمتنع لظهور بطلانها أن توجد منه وان لم توجد منه اذا كان كاذبا فى ادّعاء النبوة لانه لم يقترن بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية والذى عليه قول الجمهور انه لا يجوز أن يظهر المعجز على مدعى الربوبية كما لا يجوز أن يظهر على مدعى النبوة لان معصيته فى ادّعاء الربوبية أغلظ ومأثمه فيها أعظم فكان بأن لا تظهر عليه أجدر واذا استوضح ما أظهره مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبان اختلالها فخرجت عن الاعجاز الى سحر أو شعبذة

(فصل) ولما علم الله تعالى أن أكثر عباده لا يشهدون حجج رسله ولا يحضرون آيات أنبيائه اما لبعد الدار أو لتعاقب الاعصار طبع كل فريق على الاخبار عما عاين فيعلمه الغائب من الحاضر ويعرفه المتأخر من المعاصر وقد علم مع اختلاف الهمم أن خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب حق لا يعترضه شك وصدق لا يشتبه بافك فصار وروده كالعيان فى وقوع العلم به اضطرارا فثبتت به الحجة ولزم به العلم وقد قال الطفيل الغنوى مع اعرابيته فى وقوع العلم باستفاضة الخبر ما دلته عليه الفطرة وقاده اليه الطبع فقال

تأوّبنى همّ من الليل منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب
تظاهرن حتى لم يكن لى ريبة * ولم يك عما أخبروا متعقب

(فصل) وأما ما يجوز لمدعى النبوة فينقسم ثلاثة أقسام أحدها أن يكلمه الله تعالى بغير واسطة والثانى أن يخاطبه بواسطة من ملائكته والثالث أن يكون عن رؤيا منام (فأما القسم الاوّل) اذا كلمه الله تعالى بغير واسطة مثل كلامه لموسى عليه السلام حين نودى من الشجرة على ما قدمناه فى الاختلاف فى صفته فيعلم اضطرارا أنه من الله تعالى وفيما يقع به علم الاضطرار فى كلامه لاهل العلم قولان أحدهما انه يضطره الى العلم به كما يضطر خلقه الى العلم بسائر المعلومات فعلى هذا يستدل بمعرفة كلامه على معرفته ويسقط عنه تكليف معرفته ويجوز

ان

أن يكون كلامه من غير جنس كلام البشر للاضطرار الى معرفة ماتضمنه
والقول الثانى أن يقترن بكلامه من الآيات مايدل على أنه منه فعلى هذا لا يسقط
منه تكليف معرفة ولا يصح أن يكلمه الا بكلام البشر لعدم الاضطرار الى
معرفته (وأما القسم الثانى) وهو أن يكون خطابه بواسطة من ملائكته الذين هم
رسله الى أنبيائه فعلى الانبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته فى رسالته وطريق
علمهم به الاستدلال ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم الباهرة علم الاضطرار
وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحى على الرسول اظهار معجزتهم له كما يلزم الرسول
اظهار معجزته لامته روى ان جبريل عليه السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بمكة فى الوادى قال له قل يا محمد للشجرة اقبلى فقال لها ذلك فأقبلت
وقال له قل لها ادبرى فقال لها ذلك فأدبرت فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حسبى يعنى فى العلم بصدقك فيما تأتينى به عن ربى فتستدل الرسل بالمعجزات على
تصديق الملائكة بالوحى وتستدل الامم بمعجزات الانبياء على تصديقهم بالرسالة
ويكون خطاب الملك لفظا ان كان قرآنا أوما قام مقام اللفظ ان كان وحيا ولا يجوز
أن يؤدى الملك الى الرسول ما تحمله عن ربه الا بلسان الرسول كما لا يؤدى الرسول
الى قومه الا بلسانهم ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه والرسول واسطة
بين الملك وبين قومه وما يؤديه الملك الى الرسول ليؤديه الرسول الى قومه ضربان
قرآن ووحى فأما القرآن فيلزم الملك أن يؤديه الى الرسول بصيغة لفظه وليس
للملك ولا للرسول أن يعدل بلفظه الى غيره ويكون ماتضمنه من الخطاب المنزل
متوجها الى الرسول والى أمته وأما الوحى اذا تضمن تكليفا بأمر أونهى فضربان
أحدهما أن يكون نصا غير محتمل وصريحا غير متأول فهذا يعلمه الرسول من الملك
بنفس الخطاب وتعلمه الامة من الرسول بالبلاغ من غير نظر ولا استدلال وليس
للملك ولا للرسول أن يعدل بالنص الى اجمال أواحتمال له والضرب الثانى أن يكون
من المجمل أو المحتمل لمعان مختلفة فهذا يعلم المراد به من دليل يقترن بالخطاب
ودليله ضربان أحدهما عقل المستمع والثانى توقيف المبلغ فأما ماعقل دليله
ببديهة العقل فمعول على مقتضى العقل ويكفى فيه تبليغ الخطاب وأما مادليله

التوقيف الذى لامدخل فيه لبداية العقول كالعبادات فمحمول على التوقيف من الله تعالى الى ملائكته ومن الملائكة الى الرسول ومن الرسول الى أمته فأما معرفة الملك من ربه فهو غير مشاهد لذاته واختلف أهل العلم فى معرفته به على مذهبين كالرسول ان كلمه أحدهما بان يضطر الى العلم به والثانى بسماع الخطاب المقترن بالآيات وأما معرفة الرسول من الملك ومعرفة الامة من الرسول فالرسول مشاهد لذات الملك والامة مشاهدة لذات الرسول ولمشاهدة الذوات تأثير فى العلم بمراد الخطاب فيتنوع بيان توقيفه فيما أريد بالخطاب أنواعا فيكون بعضه باللفظ الصريح وبعضه بالرمز الخفى وبعضه بالفعل الظاهر وبعضه بالاشارة الباطنة وبعضه بالامارات التى تضطر المشاهد الى العلم بما أريد بها وليس لها نعت موصوف ولاحد مقدر وانما يعلمه المشاهد بفهوم أسبابه فيصير البيان باختلاف أنواعه توقيفا من الملك الى الرسول ومن الرسول الى الامة ويجوز أن يختلف نوع بيانه ما اذا عرف (فأما القسم الثالث) وهو أن يكون عن رؤيا منام فان لم يكن ممن تصدق رؤياه لكثرة أحلامه لم يجز أن يدعى به النبوة وان كان ممن تصدق رؤياه فقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا لم يجز أن يدعى النبوة من أول رؤيا لجواز أن يكون من حديث النفس وان الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى فان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها ولم يخالجه الشك فيها جاز أن يدعى بها النبوة فيما كان حفظا لما تقدمها من شرع وبعثا على العمل بها من بعيد ولم يجز أن يعتد بها فى نسخ شرع ولا استئناف تعبد ويجوز أن يعمل على رؤيا نفسه فيما يلتزمه من استئناف شرع ولا يجوز أن يعمل عليها فى نسخ ما لزمه من شرع ليكون بها ملتزما ولا يكون بها مسقطا

(فصل) وأما خطاب الرسول لامته فيما بلغهم من رسالة ربه بعد ظهور معجزته والاخبار بنبوته ولزومه للأمة فمعتبر بخمسة شروط أحدها العلم بانتفاء الكذب عنه فيما ينقله عن الله تعالى من خبر أو يؤديه من تكليف كما انتفى عنه الكذب فى ادعاء الرسالة ويكون المعجز دليلا على صدقه فى جميع ما تضمنته الرسالة والثانى أن يعلم من حاله انه لا يجوز أن يكتم ما أمر بأدائه لان كتمانه يمنع من التزام

رسالته لجواز أن يكتم اسقاط ما أوجب وان جاز أن يكتم بيانه قبل وقت الحاجة ولا يكون كتمانا والثالث أن ينتفي عنه ما يقتضي التنفير من قبول قوله لان الله تعالى حماه من الغلظة لئلا ينفروا من متابعته وكان أولى أن لا ينفر عن قبول خطابه والرابع أن يقترن بخطابه ما يدل على المراد به لينتفي عنه التلبيس والتعمية في أحكام الرسالة حتى يعلم حقوق التكليف وان جاز تعمية خطابه فيما لم يتضمنه التكليف قد اعترض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل في أطراف بدر وقال له ممن أنت فقال من ماء فورّى عن نسبه بما استبهم على سائله لخروجه عما يؤدّيه شرعا الى أمّته والخامس العلم بوجوب طاعته ليعلم بها وجوب أوامره واختلف في طاعته هل وجبت عقلا أو سمعا بحسب اختلافهم في بعثة الرسل هل هو من موجبات العقل أم لا

(فصل) واذا تكاملت شروط الالتزام لم يخل خطابه من أن يكون مفهوما أو مبهما فالمفهوم أربعة النص وفحوى الكلام ولحن القول ومفهوم اللفظ وفحوى الكلام ما دل على ما هو أقوى من نطقه ولحن القول ما دل على مثل نطقه ومفهوم اللفظ مأخوذ من معنى نطقه فهذه الاربعة مفهومة المعاني بألفاظها مستقلة بذواتها معلومة المراد بظواهرها فلا احتياج بعد البلاغ الى بيان وأما المبهم فثلاثة المجمل والمحتمل والمشتبه فأما المجمل فأخذ بيانه من غيره ولا يدخل العقل في تفسيره فلا يعلم الا بسمع وتوقيف وأما المحتمل فهو ما تردّد بين معان مختلفة فان أمكن الجمع بين جميعها حمل على جميع ما تضمنه واستغنى عن البيان الا أن يرد بالاقتصار على بعضها بيان وان لم يمكن حملها على الجميع لتنافيها وكان المقصود أحدمعانيها فان أمكن الاستدلال عليه بمخرج الخطاب أو بمشاهدة الحال كان فيه بيان أو تعذر بيانه من هذا الوجه حمل على عرف الشرع فان تعذر حمل على عرف الاستعمال فان تعذر حمل على عرف اللغة فان تعذر فبيانه موقوف على التوقيف وأما المشتبه فما أشكل لفظه واستبهم معناه *روى ان عمر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله انك تأتينا بكلام لا نعرفه ونحن العرب حقا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ربي علمني فتعلمت وأدّبني

فما أدبت فان تلوح فى المشتبه اشارة الى معناه جاز أن يكون استنباطه موقوفا على الاجتهاد وان تجرد عن اشارة كان موقوفا على التوقيف وعلى الرسول تبليغ بيانه كما كان عليه تبليغ أصله. وعلى من سمعه من الرسول أن يبلغه من لم يسمعه حتى ينتقل الى عصر بعد عصر على الابد فيعلمه القرن الثانى من الاول والثالث من الثانى وكذلك أبدا لتدوم الحجة بهم الى قيام الساعة ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليبلغ الشاهد الغائب

(فصل) فأما الفرق بين الانبياء والرسل فقد جاء بهما القرآن جمعا وفصلا بقول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته واختلف أهل العلم فى الانبياء والرسل على قولين. أحدهما أن الانبياء والرسل واحد فالنبى رسول والرسول نبى والرسل مأخوذ من تحمل الرسالة والنبى مأخوذ من النبأ وهو الخبر ان همز لانه مخبر عن الله تعالى ومأخوذ من النبوة ان لم يهمز وهو الموضع المرتفع وهذا أشبه لان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يخاطب بهما والقول الثانى أنهما يختلفان لان اختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من النبى ولذلك سميت الملائكة رسلا ولم يسموا أنبياء واختلف من قال بهذا فى الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل أحدها أن الرسول هو الذى تنزل عليه الملائكة بالوحى والنبى هو الذى يوحى اليه فى نومه والقول الثانى أن الرسول هو المبعوث الى أمة والنبى هو المحدث الذى لا يبعث الى أمة قاله قطرب والقول الثالث أن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والاحكام والنبى هو الذى يحفظ شريعة غيره قاله الجاحظ

(فصل) واذا نزل الوحى على الرسول وعين له زمان الابلاغ لم يكن له تقديمه عليه ولا تأخيره عنه وان لم يعين له زمانه فعليه تبليغه فى أول أوقات امكانه فان خاف من تبليغ ما أمر به شدة الاذى وعظم الضرر لزمه البلاغ ولم يكن الاذى عذرا له فى الترك والتأخير لان الانبياء يتكلفون من احتمال المشاق ما لا يتكلفه غيرهم لعظم منزلتهم وما أمدوا به من القوة على تحمل مشاقهم وان خاف منه القتل فقد اختلف المتكلمون فى وجوب البلاغ فذهب بعضهم الى

اعتبار أمره بالبلاغ فان أمر به مع تخوف القتل لزمه أن يبلغ وان قتل وان أمر به مع الامن لم يلزمه البلاغ اذا خاف القتل وذهب آخرون منهم الى اعتبار حاله فان لم يبق عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل لزمه البلاغ وان قتل وان بقي عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل فان لم يكن الامر بالبلاغ مرتبا لزمه أن يقدم بلاغ ما يأمن منه القتل ثم يبلغ ما يخاف منه القتل فان قتل فان كان الامر بالبلاغ مرتبا بابتداء ما يخاف منه القتل فان الله تعالى يعصمه من القتل حتى يبلغ جميع ما أمر به لما تكفل به من اكمال دينه والله تعالى أعلم

﴿ الباب الخامس في مدة العالم وعدد الرسل ﴾

مدة الدنيا من ابتداء خلق العالم الى انقضائه وفنائه سبعة آلاف سنة على ما جاءت به التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وذكره أنبياء بني اسرائيل وقد وافق عليه من قال بتسيير الكواكب وانها مسير الكواكب السبعة فسير كل كوكب منها ألف سنة وقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه الوسطى والسبابة يعني ان الباقي منها كزيادة الوسطى على السبابة وروى سلمة بن عبد الله الجهني عن أبي مشجعة الجهني عن أبي رحاب الجهني أنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيتك على منبر فيه سبع درج وأنت على أعلاها فقال الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وروى أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر يقول أيها الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وأخذ في خطبته الى أن قال لا أعرفن رجلا منعته مهابة الناس أن يتكلم بحق اذا رآه وشهده ثم قال وقد أزف غروب الشمس ان مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه يوفي بكم سبعون أمة قد توفي تسع وستون وأنتم آخرها فصارت هذه المدة المقدرة في عمر الدنيا سبعة آلاف سنة متفقا عليها فيما تضمنته الكتب الالهية ووردت به الانباء النبوية مع ما سلك به الموافق من تسيير الكواكب السبعة وان كان المعول في المغيب على

الانباء الصادقة الصادرة عن علام الغيوب الذي لم يشرك في غيبه الا من أطلعه عليه من رسله فخلق العالم في ستة أيام ابتداؤها يوم الاحد وانقضاؤها يوم الجمعة واختلف أهل الكتب السالفة وأهل العلم في شرعنا فيما ابتدئ بخلقه على ثلاثة أقاويل أحدها وهو قول طائفة انه بدأ بخلق الارض في يوم الاحد والاثنين لقول الله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وخلق الجبال في يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر في يوم الاربعاء وخلق السماء في يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم في يوم الجمعة قال الشعبي ولذلك سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق كل شيء والثاني وهو قول فريق انه بدأ بخلق السموات قبل الارض في يوم الاحد والاثنين لقول الله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها فيه ثلاثة أوجه أحدها أسكن في كل سماء ملائكتها والثاني خلق في كل سماء ما أودعه فيها من شمس وقمر ونجوم والثالث أوحى الى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة ثم خلق الارض والجبال في يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق ما سواهما من العالم في يوم الخميس والجمعة والثالث وهو قول آخرين انه خلق السماء دخانا قبل الارض ثم فتقها سبع سموات بعد الارض لقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها فيه ثلاثة تأويلات أحدها أي اعطيا الطاعة في السير المقدر لكما باختيار أو اجبار قاله سعيد بن جبير والثاني أخرجا ما فيكما طوعا أو كرها والثالث كونا كما أردت من شدة ولين وحزن وسهل وممتنع وممكن قالتا أتينا طائعين أي كما أردت أن نكون وفي قولهما ذلك وجهان أحدهما أن ظهور الطاعة منهما اقام مقام قولهما والثاني أنه خلق فيهما كلاما نطق بذلك قال أبو النظر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيها حرمه

(فصل) فأما آدم فهو آخر ما خلق الله تعالى في يوم الجمعة خلقه من تراب الارض ونفخ في أنفه من نسمة الحياة فهو أنفس من كل ذي حياة روى أبو زهر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق آدم من قبضة قبضها من

جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب وبين ذلك وفى تسميته بآدم قولان أحدهما انه اسم عبرانى نقل الى العربية والقول الثانى انه اسم عربى وفيه قولان أحدهما أنه سمى بذلك لانه خلق من أديم الارض وأدنها وجهها والثانى أنه سمى بذلك لاشتقاقه من الادمة وهى السمرة فلما تكامل خلق آدم لستوحش فخلق له حواء واختلف فيما خلقت منه على قولين أحدهما انه خلقها من مثل ماخلق منه آدم وهذا قول تفرد به ابن بحر والقول الثانى وهو ما عليه الجمهور انه خلقها من ضلع آدم الايسر بعد أن ألقى عليه النوم حتى لم يجد لهاما قال ابن عباس فلذلك تواصلا ولذلك سميت امرأة لانها خلقت من المرء وفى تسميتها حواء قولان أحدهما لانها خلقت من حى والثانى لانها أم كل حى فقال آدم لما خلقت منه حواء هذا الشخص عظمه من عظمى ولحمه من لحمى فلذلك صار الرجل والمرأة كجسد واحد من شدة الميل وفضل الحنو قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم وخلق منها زوجها يعنى حواء فروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال خلق الرجل من التراب فهمه فى التراب وخلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل واختلف فى الوقت الذى خلقت فيه حواء على قولين أحدهما انها خلقت منه فى الجنة بعد ان استوحش من وحدته وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والقول الثانى انها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ثم ادخلا معا اليها وهو أشبه بقول الله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال ابن عباس خلق آدم يوم الجمعة وأدخل الجنة يوم الجمعة وأخرج منها يوم الجمعة وفيها تقوم الساعة واختلف فى الجنة التى أسكنها على قولين أحدهما انها جنة الخلد والقول الثانى أنها جنة أعدها الله تعالى لهما دار ابتلاء وليست جنة الخلد التى جعلها دار جزاء وفيها على هذا قولان أحدهما انها فى السماء لانه أهبطهما منها والقول الثانى انها فى الارض لانه امتحنهما فيها بالامر والنهى واختلف فى الشجرة التى نهيا عن أكلها فقيل انها شجرة الخلد وقيل انها شجرة العلم

وفى هذا العلم قولان أحدهما علم الخير والشر والثانى علم مالم يعلم وقيل فى الشجرة غير ذلك من الاقاويل فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما بالمعصية وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال الله تعالى فأزلهما الشيطان عنها حين بعثهما على أكل الشجرة فأخرجهما مما كانا فيه وفيه تأويلان أحدهما كانا فيه من الطاعة الى ماصارا اليه من المعصية والثانى عما كانا فيه من النعيم فى الجنة الى ماصار اليه من النكد فى الأرض فحزن آدم حين أهبط الى الارض وبقى فى حزنه مائة سنة لا يقرب فيه حواء ثم غشيها فولدت له بعد المائة قابيل ثم غشيها فولدت له هابيل فقتل قابيل هابيل فحزن آدم لذلك حزنا شديدا وقيل انه جعل حزنه جزاء على معصيته فى الأكل وقد يصاب الآباء فى أولادهم من أجل معاصيهم ثم خف حزنه فغشى حواء فولدت له شيثا وعلم آدم الأسماء كلها كما ذكره الله تعالى فى كتابه وفيما علمه من الاسماء قولان أحدهما علم النجوم قاله حميد الثانى انها أسماء مسميات وفيها ثلاثة أقاويل أحدها أسماء الملائكة قاله الربيع ابن أنس والثانى أسماء جميع ذريته قاله عبد الرحمن بن زيد والثالث أسماء جميع الاشياء وفيه على هذا قولان أحدهما أن تعليمه كان مقصورا على الاسماء دون معانيها والثانى انه علمه الاسماء ومعانيها الا انه لا فائدة فى علم الاسماء بلا معان لان المعانى هى المقصودة والاسماء دلائل عليها

(فصل) ولما هبط آدم الى الارض قيل انه أهبط الى شرقى أرض الهند وحواء بجدة وابليس على ساحل نهر الابلة والحية فى البرية وكانت نبوة آدم مقصورة عليه وما نزل عليه من الوحى متوجها اليه فكان من المصطفين دون المرسلين واختلف فيه أهل الكتاب هل خلق فى ابتدائه قابلا للموت أو جعل الموت عقوبة له على معصيته فقال بعضهم خلق آدم فى ابتداء نشأته على الطبيعة الباقية والطبيعة الميتة ليكون ان مال الى الشهوات الجسمانية وآثرها وقع فى التغايير الجسمانية وناله الموت وان آثر فضائل النفس الامارة بالخير نال البقاء الذى سعدت به الملائكة فلم تمت فلما عصى بأكل الشجرة عدل الى التغايير فناله الموت واستشهدوا عليه من التوراة بما ذكر فيها انك ان أكلت من الشجرة

يوم تأكل منها فتموت تابموت فلم يجز أن يتوعده بالموت عند معاقبته وهو يموت لو لم يعاقب وقال آخرون منهم وهو أشبه بمقتضى العقول انه خلق في ابتداء انشائه قابلا للموت في الدنيا وان لم يعص لانه أحوجه الى الغذاء كذريته وليس شيء من الجواهر التي لا ينالها الموت محتاجة الى الغذاء ولم يجعل الموت عقوبة على المعصية ولذلك لم يمت بمن عصى من الملائكة وان في التوراة مكتوبا ان مد يده في الجنة الى شجرة الحياة وأكل منها حيي الدهر كله فدل على انه مطبوع على قبول الموت ولما خلق الله تعالى آدم ابتداء ولم يخلقه بتوسط طبيعة كما خلق نسله كان على أفضل اعتدال وأكمل عقل فصار قلبه معدنا للحكمة الانسانية وجسده مهيأ للافعال البشرية فلم يمتنع عليه شيء منها حتى أحاط علما وقدرة بجميعها ولذلك علم الاسماء كلها وألهم الحكمة بأسرها واطلع على أسرار النجوم وعملها وعرف منافع الحيوان والنبات ومضارها ولولا ذلك لما فرق بين الغذاء والدواء ولا بين السموم القاتلة والشفاء ولا اهتدى بالنجوم في بر ولا بحر وكان هو المدبر لاولاده مدة حياته حتى مات بعد تسعمائة وثلاثين سنة من عمره ثم قام بالامر من بعده شيث ابن آدم فبرع في الحكمة وفاق في علم النجوم بما أخذه عن أبيه آدم وبما استفاده بالتجربة ومرور الزمان واختلف أهل الكتاب في نبوة شيث فادعاها بعضهم وأنكرها آخرون منهم وولد بعد مائتين وثلاثين سنة من عمر أبيه آدم ومات وله تسعمائة واثنا عشر سنة فكان قيامه بالامر بعد موت آدم مائتين واثني عشر سنة واتفق أهل الكتاب انه لم يكن بين شيث وادريس نبي غير ادريس ثم قام بالامر بعد شيث ولده أنوش بن شيث وكان مولده بعد مائتين وخمسين سنة من عمر شيث ومات أنوش وله تسعمائة وخمسون سنة فكان قيامه بالامر بعد شيث مائتين وثمانية وثمانين سنة ثم قام بالامر بعد أنوش ولده قينان بن أنوش وولد بعد مائة وتسعين سنة من عمر أنوش ومات قينان وله تسعمائة وعشرون سنة فكان قيامه بالامر بعد أنوش مائة وتسعين سنة ثم قام بالامر بعد قينان ولده مهلاييل وولد بعد ثمانمائة وخمس وسبعين سنة فكان قيامه بالامر بعد قينان مائة وعشر سنين ثم قام بالامر بعد مهلاييل ولده يارد بن مهلاييل وولد بعد مائة وخمس وستين

سنة من عمر مهلاييل ومات يارد وله تسعمائة واثنان وستون سنة فكان قيامه بالامر بعد مهلاييل مائتين واثنين وخمسين سنة ثم قام بالامر بعد يارد ولده أخنوخ بن يارد وهو ادريس وولد بعد مائة واثنين وستين سنة من عمر يارد وهو نبي في قول جميع أهل الملل واختلف أهل الكتاب هل هو أول الانبياء أو ثانيهم فقال من زعم ان شيثا نبي هو ثاني الانبياء وقال من زعم ان شيثا ليس بنبي ان ادريس أول الانبياء وهو أول من شرع الاحكام وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله تعالى وسبى وقتل بني قابيل ولبس الثياب وكانوا يلبسون الجلود وأول من كتب الخط في قول الاكثرين وأول من وضع الاوزان والكيول ثم رفعه الله تعالى اليه حيا بعد سبعمائة وخمس وثمانين سنة من عمره أقام فيها داعيا وأبوه حي على ما يقتضيه تاريخ هذه المواليد والاعمار المأخوذة من التوراة المنزلة قال ابن قتيبة وسمي ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى وسنن الاسلام

(فصل) ثم كثر الناس فافترقوا بعد ادريس وزادوا الى زمن نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ وهو ادريس وهو آخر نبي بعث قبل الطوفان على قول من زعم ان شيثا نبي ونزل الطوفان بعد ستمائة سنة من عمره وأنذر قومه فكذبوه وصنع السفينة فسخروا منه وأمره الله تعالى أن يصنعها في طول ثلاثمائة ذراع وعرض خمسين ذراعا وعلو ثلاثين ذراعا وتكون ثلاث طبقات ليركب فيها هو وأهله ويأخذ من كل جنس من الحيوان زوجا ذكرا وأنثى ليكونوا أصولا لنسلهم فيحيا بهم العالم ثم وعده أن يمطره بعد سبعة أيام أربعين يوما وأربعين ليلة فلم يبق في الارض ذو روح الامن ركبها وغاض الطوفان بعد مائة وخمسين يوما فاستوت على الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة شهرا وسمي الماء طوفانا لانه طفا فوق كل شئ واختلف فيما عاش نوح بعد الطوفان فقال الاكثرون ثلاثمائة وخمسين سنة وهو ظاهر ما نزل به القرآن وقال آخرون ستمائة وخمسون سنة لانه لبث تسعمائة وخمسين سنة داعيا لقومه وكان له قبل دعائه ثلاثمائة سنة واختلف فيما بين هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان فقال اثنان وسبعون

حبرا من بني اسرائيل نقلوا التوراة الى اليونانية بينهما ألفان ومائتان واثنان وأربعون سنة ثم تبلبلت الالسن بعد الطوفان بستمائة وسبعين سنة فافترق اثنان وسبعون لسانا في اثنين وسبعين أمة قال وهب بن منبه منها في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثون لسانا ومن تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم الخليل عليه السلام أربعمائة وأحد عشر سنة ومن مولد ابراهيم الى موسى بن عمران عليه السلام أربعمائة وخمس وعشرون سنة وأخرج بني اسرائيل من مصر بعد ثمانين سنة ودبر أمرهم أربعين سنة ومات وله مائة وعشرون سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وستين سنة وقال آخرون من بني اسرائيل المقيمين على التوراة العبرانية التي يتداولها جمهور اليهود في وقتنا ان من هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة ومن انقضاء الطوفان الى تبلبل الالسن مائة واحدى وثلاثين سنة ومن تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم مائة واحدى وستين سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة موسى خمسمائة وخمسا وأربعين سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى ألفين وأربعمائة وثلاثا وتسعين سنة وقالت السامرة من اليهود عن تاريخ توراتهم ان من هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان ألفا وثلثمائة وسبعا وستين سنة ومن الطوفان الى تبلبل الالسن خمسمائة وستا وعشرين سنة ومن تبلبل الالسن الى مولد ابراهيم أربعمائة واحدى عشرة سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة موسى خمسمائة وخمسا وأربعين سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى ألفين وثمانمائة وتسعا وأربعين سنة ﴿وأول نبي بعد نوح ابراهيم﴾ وهو أول من قص شاربه واستحد واختتن وقلم أظفاره واستاك وتمضمض واستنشق واستنجى بالماء وأول من أضاف الضيف وأطعم المساكين وثرد الثريد وكان داعيا الى عبادة الله تعالى وتوحيده ﴿ثم ولده اسحق بن ابراهيم﴾ ولد له عيصو ويعقوب توأمين في بطن واحد فخرج عيصو ثم خرج بعده يعقوب ويده عالقة

على عقبه فسمي يعقوب * فعيصو أبو الروم وكان أصفر فلذلك سميت الروم بني الاصفر * ويعقوب هو اسرائيل أبو الاسباط * وأيوب بن بواص كان أبوه ممن آمن بابراهيم يوم أحرق وكان في زمن يعقوب وكان صهره زوجه يعقوب بنته ليا وهي التي ضربها بالضغث * وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وكانت نبوة يعقوب بعد اسحق بن ابراهيم ومن بعده من ولده قبل موسى مقصورة على أنفسهم حتى دعا موسى الى نبوته بني اسرائيل ومن وفاة موسى الى ملك بختنصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة والى ملك الاسكندر ألف وأربعمائة وثلاث عشرة سنة * وولد عيسى ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من كانون الاول لسبعمائة وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر ولثلاثمائة وأربع سنين من ملك الاسكندر ومن ملك بختنصر الى ابتداء الهجرة ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومن ملك اسكندر الى ابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة فكان بين موت موسى وابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة ومولد عيسى بعد ألف وسبعمائة وسبع عشرة سنة من موت موسى وقيل بعد ستمائة وثلاثين سنة من ابتداء الهجرة

(فصل) فاذا تقرر ما ذكرناه من مدة الدنيا أنها مقدرة في الكتب الالهية بسبعة آلاف سنة كان الماضي منها الى ابتداء الهجرة محمولا على ما قدمناه من اختلاف أهل التوراة فيكون على القول الاول المأخوذ عن الاحبار الناقلين لها الى اليونانية ستة آلاف ومائتين وست عشرة سنة والباقي من عمر الدنيا على قولهم بعد الهجرة سبعمائة وأربعا وثمانين سنة وهو موافق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ويكون الماضي منها على القول الثاني المأخوذ عن التوراة العبرانية أربعة آلاف وثمانمائة واحدى وأربعين سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا القول بعد الهجرة ألفين ومائة وتسعا وخمسين سنة وقيل انهم قالوا ذلك ليكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خامسها ألفا فيدفعوه بنقصان التاريخ عن صفته في التوراة انه مبعوث في آخر الزمان ويكون الماضي على القول الثالث في توراة السامرة خمسة

آلاف ومائة وسبعا وثلاثين سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا القول بعد
الهجرة ألفا وثمانمائة وثلاثا وثلاثين سنة ليكون الرسول في سادسها ألفا ما قيل
من سنيه والسامرة قوم نافلة من بلاد المشرق سموا بذلك لان تفسيره بالعربية
الحفظة وهم لا يقبلون من كتب الانبياء الا التوراة وحدها والاول لاجل قول
الرسول بالاشبه وان كان قيام الساعة وانقراض مدة الدنيا وقيام العالم على هذا
التاريخ الذي أثبتوه والتقدير الذي حققوه مدفوعا عندنا بقول الله تعالى ان الله
عنده علم الساعة وفيه تأويلان أحدهما ان قيامها مختص بعلمه فامتنع أن
يشاركه في علمها أحد من خلقه والثاني أن قيامها موقوف على ارادته فامتنع
أن يوقف على غير ارادته وقال تعالى هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة يعني
فجأة والبغتة غير معلومة فامتنع أن تكون عندهم معلومة ثم قال فقد جاء
أشراطها فيه وجهان أحدهما نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا يدل على أنه
مبعوث في آخرها ألفا والثاني ان أشراطها الآيات المنذرة بها كما قال وما نرسل
بالآيات الا تخويفا فلا تقوم الساعة الا بعد أن ينذر الله تعالى بآياتها روى
سفيان بن عيينة عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسد الغفاري قال أشرف
علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غلية ونحن نتذاكر أمر الساعة قال
ما كنتم تذاكرون قلنا قيام الساعة قال ان الساعة لن تقوم حتى يكون قبلها عشر
آيات قال لا يدرى بايهن بدأ طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة
الارض ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج
من قبل اليمن أو من عدن تطرد الناس الى محشرهم وروى برد عن مكحول عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في الثمانين فان لم
يخرج ففي ثمانين ومائتين فان لم يخرج ففي ثلاثمائة وثمانين فان لم يخرج ففي
أربعمائة وثمانين وروى معاذ بن جبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر
الدجال فقال يقيم فيكم أربعين سنة أول سنة كالشهر ثم الثانية كالجمعة ثم الثالثة
كاليوم وسائر سنيه كالساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيوجره بالحربة فيذوب

كما يذوب الرصاص وفي هذا دليل على تقدم يأجوج ومأجوج الدجال وآخرها الذي تقوم به الساعة ظهور النار والله أعلم بمن استأثر بغيبه ثم من أطلعه عليه من رسله

(فصل) وبين موسى وعيسى عليهما السلام من الانبياء * شعياء وهو الذي بشر بني اسرائيل بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه بعد ان بشر بعيسى فقتله بنو اسرائيل * ثم حزقيل وهو الذي أصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم * ومنهم دانيال سباه بختنصر مع العزير ونزل من بختنصر أفضل منزل لرؤيا عبرها له وقبره بناحية السوس وجده أبو موسى الاشعري فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه * ومنهم الياس بعث الى أهل بعلبك وكانوا يعبدون صنما يقال له بعل وكان ملكهم اسمه أجب وامرأته ازبيل وكان يستخلفها على ملكه وهي بنت ملك سبا وعمرت عمرا طويلا وتزوجها سبعة من ملوك بني اسرائيل وهي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام ثم رفع الله تعالى الياس * ثم اليسع كان تلميذ الياس فدعا له الياس فنبأه الله بعده * ثم يونس بن متى * ثم زكريا قتله بنو اسرائيل في الشجرة * ثم عيسى * ويحيى فأما يحيى فان أجب الملك قتله بحيلة امرأته ازبيل وأما عيسى فان أمه هربت به من أجب الملك الى مصر وعادبه يوسف النجار مع أمه الى قرية تدعى ناصره فلذلك قيل لاصحابه نصارى لانهم سموه عيسى الناصري ﴿وأصحاب الكهف﴾ هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح عيسى وضرب الله على آذانهم فيه فلما بعث المسيح أخبر بخبرهم ثم بعثهم الله تعالى بعد المسيح في الفترة بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجرجيس من أهل فلسطين أدرك بعض الحواريين وبعث الى ملك الموصل * فأما لقمان فكان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل وكان في زمن داود واسم أبيه ثاران واختلف في نبوته فزعم الاكثرون انه لم يكن نبيا وقال سعيد بن المسيب كان نبيا وكان خياطا * وذو الكفل من بني اسرائيل بعث الى ملك كان فيهم يقال له كنعان دعاه الى الايمان وكفل له الجنة وكتب له كتابا وسمي ذا الكفل لذلك (وذكر وهب بن منبه) ان الانبياء كلهم مائة ألف نبي

وأربعة وعشرون ألف نبي الرسل منهم ثلاثمائة نبي وخمسة عشر نبيا * منهم خمسة عبرانيون آدم وشيث وادريس ونوح وابراهيم * وخمسة من العرب هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم وروى أبو صالح عن ابن عباس قال بعث الله الى أهل الرس والرس البر نبيا منهم يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فاوحى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له أرميا بن برخيا مر بخت نصر يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم وخالد ابن سنان روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذاك نبي أضاعه قومه وذلك أنه قال لقومه ادفنوني فاذا جاءت الظباء بعد ثلاث فأخرجوني فسأنبئكم بما أمرت فجاءت الظباء الى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه وقالوا تتحدث العرب عنا انا نبشنا موتانا وأتت بنته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت قد كان أبي يقرأ هذا ولا يضبط ذكر من سلف من الانبياء لكثرتهم وقول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص والله تعالى أعلم .

﴿ الباب السادس فى اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾

الكلام فى اثبات نبوته يتقرر مع المعترفين ببعثة الرسل لان منكريها يمنعون الجميع بها ويدفعون كل مدع لها والكلام معهم قد قدمناه فى اثبات النبوات على العموم * فاما نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اختلف فيها مخالفوه من مثبتي النبوات على أقوال شتى فمنعت اليهود من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع واختلفوا فى المانع من نسخه فمنع منه بعضهم بالعقل لان نهى الله تعالى عما أمر به وأمره بما نهى عنه انما يكون لخفاء المصلحة عليه فى الابتداء وظهورها له فى الانتهاء والله تعالى عالم بها فى الحالين لتباين الضدين ومنع منه بعضهم بالشرع وان جوزوه فى العقل بما نقلوه عن موسى عليه السلام وذكروه فى التوراة انه قال تمسكوا بالسبت أبدا سنة الدهر وكلا الوجهين فاسد من وجهين أحدهما أن العقل لا يمنع من الامر بالشئ فى زمان والنهى عنه فى غيره بحسب المصلحة فى قول من اعتبرها أو بالارادة فى قول من اعتمدها ولا يكون

مستقبحا من فعل حكيم كما يغني من أفقر ويفقر من أغنى اما للمصلحة أو بالارادة
ولا يكون ذلك منه لاستبهام والمصلحة وأشكال الارادة والثاني أن موسى قد نسخ
شرع من تقدمه لان آدم زوج بنيه بناته وجوز يعقوب الجمع بين الاختين ونكح
ابراهيم بنت أخيه وكل هذا عند موسى منسوخ بشرعه فجاز أن ينسخ شرعه
بشرع غيره وقال آخرون محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبي مبعوث الى قومه
من العرب وليس بنبي لغيرهم وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه تخصيص بغير
دليل والثاني ان ثبوت نبوته في قومه موجب لصدقه وقد قال انه بعث الى كافة
الخلق وإنه خاتم الانبياء فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه وقال آخرون هو نبي
مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبد الاوثان وليس بمبعوث الى من تمسك
بشرع من اليهود والنصارى وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين
أحدهما أنه يدفع به عن نسخ الشرع وقد دللنا على جوازه والثاني ان من اعترف
بالنبوات كان ألزم له من جحدها وقال آخرون ليس بنبي لانه لم يأت بمعجزة
قاهرة يضطر الى صدقه كمعجزة موسى وعيسى وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من
الشرائع وفي هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات نبوته وهو معتبر بثلاثة شروط
أحدها وصف المستدل والثاني حكم المدلول عليه والثالث صفة الدليل فاما
الشرط الاول في صفة المستدل فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ انه العقل لانه
المميز للحق وقال الاكثرون المستدل هو العاقل والعقل آلة استدلاله ليتوصل به
الى صحة مدلوله وأما الشرط الثاني في حكم المدلول عليه فعند فريق انه اثبات
نبوته ليعلم بها صدق قوله وعند الاكثرين انه اثبات صدقه ليعلم بقوله صحة
نبوته وأما الشرط الثالث وهو الدليل فحجاج يتنوع أنواعا لان المستدل واحد
والمدلول عليه واحد والدليل يشتمل على أعداد متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله
تعالى بينهما لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناظرة بحسب ما علمه من المصلحة
ورآه من أسباب الاجابة كما قال تعالى وكذلك نصرف الآيات أي نخالف بينها في
المعجزات فكان بعضها حجة قاطعة وبعضها أمارة لائحة تجري عليها أحكام
ما قاربها فتقوى بعد الضعف وتحتج بعد الكشف وان لم تكن للانذار

بانفرادها

بانفرادها من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحتج فهذا القول في نبوة غيره فلا يلزم
تطابق حججهم كما لم يلزم اتفاق شرائعهم وقد قدمنا أقسام المعجزات فاذا ظهرت
احداهن حجت ودلت على صحة النبوة . وقد ظهر في نبوة محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم أكثرها مع ما تقدمها من إنذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار
فصارت أعم النبوات اعجازا وأوضحها طريقة وامتيازا وأكثرها تأييدا إلهيا
وتعبدا شرعيا تقوم شواهدها من باين وعاند وتحج دلائلها من ناكر وجاحد
لان المهيأ منه مطبوع على آلته ومنقاد لكفايته حتى يتدرج اليه بغير
تكلف ويستقر فيه بغير تصنع فلا يشتبه من تعاطاه بمن طبع له فصح
التطبع بشيمة المطبوع ولم تزل أمارات النبوة لائحة في رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حين تدرج اليها وهو غافل عنها وغير متصنع لها فنهض بأعبائها حين أتته
وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى أن تكامل به الشرع
فتم على أصل مستقر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا يأباه قلب ولا تنفر
منه نفس وهذا وهو أمي لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فاوضح كل ملتبس
وبين كل مشتبه حتى رجع كثير من الملل الى شريعته في علم ما قصروا عنه من
حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها وما ذاك الا بعون إلهي
وتأييد لاهوتي وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به ولكن
سنذكر من معجزاته الفاخرة وبراهينه الواضحة ما يرد كل جاحد ويصد كل
معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها
بعضا ليكون تغايرها جامعا لكل برهان وتظاهرها دافعا لكل بهتان فمنها
ما تقدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما قارنه من
أقوال وأفعال صدرت منه واليه فلم يبق من الآيات ما أخل به ولا من الاعلام
ما قصر فيه * وسنذكرها أبوابا منفصلة وأنواعا متميزة لتكون أصح بيانا
وأوضح برهانا وأحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن لانه أصل شريعته
ومستودع رسالته ثم نتلوه بما يقتضيه وان كان لو ذكرناه أول مبادئه على
سياق ينتهي الى غايته لكان نظاما ولكن هذا باب حجاج لرسالته وليس بشرح

لسيرته فوجب ابتداؤه باخصها ثم ذكر سيرته على ترتيبها

﴿الباب السابع فيما تضمنه القرآن من أنواع اعجازه﴾

والقرآن أول معجز دعا به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى نبوته فصدع فيه برسالته وخص باعجازه من جميع رسله وان كان كلاما ملفوظا وقولا محفوظا لثلاثة أسباب صار بها من أخص اعجازه وأظهر آياته أحدها ان معجز كل رسول موافق للاغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره لان موسى عليه السلام حين بعث في عصر السحرة خص من فلق البحر يبسا وقلب العصا حية ما بهر كل ساحر وأذل كل كافر وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب فخص من ابراء الزمنى واحياء الموتى بما أدهش كل طبيب وأذهل كل لبيب ولما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في ايجازه واعجازه بما عجز عنه الفصحاء وأذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أقهر والتقصير فيه أظهر فصارت معجزاتهم وان اختلفت متشاكلة المعاني متفقة العلل والثاني ان المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني اسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة لانه لم ينقل عنهم مايدون من كلام مستحسن أو يستفاد من معنى مبتكر وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فخصوا من الاعجاز بما يصلون اليه ببداية حواسهم والعرب أصح الناس أفهاما وأحدهم أذهانا قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ومن المعاني أغربها ومن الآداب أحسنها فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل اليه أذهانهم فيدركونه بالفطنة دون البديهة وبالروية دون البادرة لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها والثالث ان معجز القرآن أبقى على الاعصار وأنشر في الاقطار من معجز يختص بحاضره وينـدرس بانقراض عصره وما دام اعجازه فهو أحج وبالاختصاص أحق

﴿فصل﴾ واعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر واضافته الى الله تعالى

يكون من عشرين وجها أحدها فصاحته وبيانه وذلك معتبر بثلاثة شروط
أحدها بلاغة ألفاظه والثاني استيفاء معانيه والثالث حسن نظمه فاما
بلاغة ألفاظه فيكون من وجهين أحدهما جزالتها حتى لا تلين والثاني انطباعها
حتى لا تنبو وأما استيفاء معانيه فيكون من وجهين أحدهما أن يكون المعنى
لا تجافى مبادى ألفاظه غير مفتقر الى مقاطعه والثاني أن يكون المعنى
مطابقا للالفاظ فلا يزيد عليها ولا يقصر عنها فان زاد كان الاخلال في اللفظ
وان نقص كان الاخلال في المعنى وأما حسن نظمه فيكون من وجهين
أحدهما أن يكون الكلام متناسبا لا يتنافر والثاني أن يكون الوزن معتدلا
لا يتباين (فان قيل) قد يجتمع في كلام البشر ما يستكمل هذه الشروط فبطل به
الاعجاز * فالجواب عنه من وجهين أحدهما ان أسلوب نظمه على هذه الشروط
معدوم في غيره فافترقا والثاني ان لنظم ألفاظه بهجة لا توجد في غيره فاختلفا
لانك اذا جمعت بين قول الله تعالى ولكم في القصاص حياة وبين قولهم القتل
أنفى للقتل وجدت بينهما فرقا في اللفظ والمعنى

(فصل) والوجه الثاني من اعجازه ايجازه عن هذا الاكثار واستيفاء معانيه
في قليل الكلام كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء
وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (فان قيل) ليس
جميعه وجيزا مختصرا وفيه المبسوط والمكرر وبعضه أفصح من بعض ولو كان
من عند الله لتماثل ولم يتفاضل لان التفاضل في كلام من يكل خاطره وتضعف
قريحته فعنه جوابان أحدهما ان اختلافه في البسط والايجاز ليس للعجز عن
تماثله ولكن لاختلاف الناس في تصوره وفهمه وتفاضله في الفصاحة
بحسب تفاضل معانيه لا للعجز عن تساويه والثاني انه خالف بين مبسوطه
ومختصره وبين أفصحه وأسهله ليكون العجز عن أسهله وأبسطه أبلغ في
الاعجاز من العجز عن أفصحه وأخصره ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق
ما بين الفاضل والمفضول وقد حكى أبو عبيدة أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام فاما تكرار قصصه وتكرار

وعده ووعيده فلاسباب مستفادة منها انها فى التكرار أوكد وفى المبالغة أزيد ومنها انها اتتغاير ألفاظها فتكون الى القبول أسرع وفى الاعجاز أبلغ ومنها أنها ان أخل بالوقوف عليها فى موضع أدركها فى غيره فلم يخل من رغب ورهب

(فصــــل) والوجه الثالث من اعجازه ان نظم أسلوبه ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام ومنثوره ولا يدخل فى شعر ولا رجز ولا سجعة ولا خطبة حتى تجاوز محصور أقسامه وباين سائر أنواعه باسلوب لا يشاكل ونظم لا يماثل فصار وان كان من حروف الكلام خارجا عن أقسام الكلام فقد قال أنيس الغفارى وهو أخو أبى ذر الغفارى وكان من الموصوفين بالتقدم فى البلاغة والفصاحة عرضت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر فلم يوافق شيأ من طرق كلام العرب (وحكى) عن الوليد بن المغيرة المخزومى وكان سيد عشيرته وأفصح قومه أنه جاء الى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على كفره فقال اقرؤا على شيأ من القرآن فقرؤا عليه فقال ليس هذا من كلام البشر وليس بشعر فضى اليه أبو لهب وقال أفسدت قريشا بهذا القول فارجع عنه فقال أقول انه سحر وقد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه الى طريقة شعره فقال فى قصة الفيل

ألا من مهلك الفيل * ومن سار مع الفيل

بطير صبه الله * عليهم من أبابيل

رمتهم بجنادل * ترى من طين سجيل

فاضحى القوم فى القاع * كعصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع أخذ معانيه واستعمال ألفاظه حتى عاد الى مطبوع شعره وضمن آخر من الشعراء شيأ منه فى شعره فخرج عن أسلوبه حيث يقول

وقرأ معلنا ليصدع قلبى * والهوى يصدع الفؤاد السقيما

أرأيت الذى يكذب بالديـ * ـن فذلك الذى يدع اليتيما

* فان قيل لو كان لنظم القرآن أسلوب معجز لما طالب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عند جمع القرآن من يأتيه بالآية والآيتين شهودا أنه سمعه من رسول الله

صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم ولاكتفى باسلوب نظمه عن بينة تشهد به ولكان لا يشتبه على ابن مسعود فى المعوذتين حين أخرجهما من القرآن ولا على أبى ابن كعب فى القنوت حين أدخله فى القرآن ولا على امرأة ابن رواحة فى شعره حتى توهمته من القرآن فعنه جوابان أحدهما ان عمر التمس الشهادة فى الآية والآيتين مما لا يكون بانفراده معجزا لان الاعجاز مختص بما وقع به التحدى وأقل ما يقع به التحدى كأقصر سورة فى القرآن آيات وحروفا وهى سورة الكوثر وما قصر عنه لا اعجاز فيه فكان طلبه للشهادة متوجها اليه والثانى إنه طلب الشهادة على محلها من أى سورة هى وفى أى موضع منها توضع وان كان معلوم الاسلوب بالمباينة لان الله تعالى كان يأمر بوضع ما أنزله فيما يراه من الهو راقوله ان علينا جمعه وقرآنه فاما ابن مسعود فلم يشكل عليه أسلوب المعوذتين أنهما من القرآن وانما حكمهما من مصحفه لانه ظن ان تلاوتهما قد نسخت وأما أبى ابن كعب فظن ان تلاوة القنوت باقية ولم يعلم انها قد نسخت وأما امرأة ابن رواحة فلم تكن من ذوى الفصاحة والبلاغة فتفرق بين الشعر وأسلوب القرآن فلم يكن لوهمها تأثير

(فصــل) والوجه الرابع من اعجازه كثرة معانيه التى لا يجمعها كلام البشر وذلك من وجهين أحدهما ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعانى كقوله وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين والثانى ان ألفاظه تحتمل معانى متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر وتكل فيها القرائح ثم لا تبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر (فان قيل) فهذا ألغاز ورمز هو بالذم منه أولى بالحمد فعنه جوابان أحدهما ان الالغاز وان ذم فالرمز ليس بمذموم وليس فيه لغز وان كان فيه رمز والثانى ان ما اختلفت معانيه يخرج عن اللغز والرمز لان اللغز ما أريد به غير معناه والرمز ما خفى معناه

(فصــل) والوجه الخامس من اعجازه ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط

به ابشر ولا تجتمع فى مخلوق فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل شئ علما حتى علمه
من لم يكن به عالما (فان قيل) فضل العلم لا يكون اعجازا فى النبوات لان العلماء قد
يتفاضلون ولا يكون الا فضل اعجازا على المفضول فعنه جوابان أحدهما ان
التفاضل فى العلم موجود والاحاطة بجميع العلوم مفقود والثانى ان ظهور
العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجز لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطه معجزا
لظهوره من غير جهته وقد كان أميا من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما
فصار ما أظهر معجزا

(فصل) والوجه السادس من اعجازه ما تضمنه من الحجج والبراهين على
التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية حتى قطع بحجاجه كل محتج وخصم
بجدله كل خصم ألد (فان قيل) فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول فلم يكن فيها
اعجاز من وجهين أحدهما وجودها من ذاته والثانى مشاركته فيها الغيره
والجواب عنه من وجهين أحدهما أنه لم يكن من أهل الجدل فيقطع كل مجادل
والثانى انه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول فخصم كل عاقل

(فصل) والوجه السابع من اعجازه ما تضمنه من أخبار القرون الخالية
وقصص الامم السالفة وما تحداه به أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشأن
موسى والخضر وحديث ذى القرنين فكان على ما ذكره أنبياؤهم وتضمنته كتبهم
(فان قيل) فالاخبار بما كان ليس بمعجز لان علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان
أحدهما انه ممكن فيمن علمها وممتنع فيمن لم يعلمها ولم يكن من أهلها فيعلمها فصار
معجزا ممتنعا والثانى انهم اقترحوا تحديه بما لم يكن مبتدئا ولا كان له متناهيا من
غوامض أسرار وغرائب أخبار جعلوها اعجازا له وعليه ففصح بالجواب عن
سرائرها وصدع بنعت غوامضها فخرج عن العرف الى ما ليس بعرف فصار معجزا

(فصل) والوجه الثامن من اعجازه ما تضمنه من علم الغيب باخبار تكون
فكانت كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم فما
تمناه أحد منهم وكقوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون

فلم يفعلوا وكقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك في يوم بدر وكقوله في هجرته من مكة الى المدينة ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فأعاده الله الى مكة عام الفتح الى غير ذلك من نظائره (فان قيل) فقد يكون ذلك حدسا بشواهد الافعال وفراسة بفضل الالمعية وقوة الفطنة فعنه جوابان أحدهما ان الحدس والفراسة وان أصاب بهما تارة فقد يخطئ بهما أخرى وهذه اصابة في الجميع فخرجت عن الحدس والفراسة الى علم من لا يخفى عليه الغيوب والثاني ان الحدس والفراسة توهم غير مقطوع به ما قبل الوجود وهذه اخبار بأنه مقطوع بها قبل الوجود فافترقوا

(فصــــل) والوجه التاسع من اعجازه ما فيه من الاخبار بضمائر القلوب التي لا يصل اليها الا علام الغيوب كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا من غير ان يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل وكقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فكان كقوله وان لم يتكاموا به الى غير ذلك من نظائره (فان قيل) فالجمع الكثير تختلف ضمائرهم في العرف فان وجد ذلك في بعضهم لم يوجد في جميعهم فان لم يخل ان يعقده بعضهم خلا منه بعضهم فتقابل القولان فيهم وبطل الاعجاز معهم فعنه جوابان أحدهما انهم وجهوا بهذا الخبر على العموم فلم ينكروه فزال هذا التفصيل فصار معجزا والثاني انه جعله ذنبا لهم فلم يتنصلوا منه فدل على وجوده من جميعهم

(فصــــل) والوجه العاشر من اعجازه أن ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب والسهل المستقرب فلا يتوعر جزله ولا يسترذل سهله ويكونان اذا اجتمعا مطبوعين غير متنافرين ولا تجد ذلك في غيره من كلام البشر لان جزله يتوعر وسهله يسترذل والجمع بينهما يتنافر فصار من هذا الوجه مباينا وفي الاعجاز داخلا (فان قيل) انما كان القرآن كذلك لانه قد توطا بكثرة التلاوة فاستلذته الاسماع واستحلته الالسن ولولاه لتباين واختلف فعنه جوابان أحدهما ان صفته عند أول سماعه لو كانت لما ذكر من العلة لاختلف في مباديه وغايته والثاني ان غيره من الكلام المختلف لا يتوطا بكثرة ذكره فبطلت العلة

(فصــل) والوجه الحادي عشر من اعجازه ان تلاوته تختص بخمسة
بواعث عليه لا توجد في غيره أحدها هشاشة مخرجه والثاني بهجة رونقه
والثالث سلاسة نظمه والرابع حسن قبوله والخامس ان قارئه لا يكل وسامعه
لا يمل وهذا في غيره من الكلام معدوم (فان قيل) انما وقع في النفوس هذا الموقع
للتدين بالتزامه والتخصيص باعظامه فعنه جوابان أحدهما ان هذا موجود في
غيره من كتب الله تعالى كالتوراة والانجيل والزبور وليس يوجد ذلك فيها مع
وجود هذا التعليل ولذلك ما استمد أهلها على استحلاء تلاوتها بما وضعوه لها
من الالحان واستعذبوه لها من الاصوات والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه
فلذلك ماراع وهيج الطباع والثاني التدين لا يسلب العقول تمييزها ولا يفسد
عليها تصورها وهو بان يزيدها بصيرة أولى ان ينقصها ولو كان لهذه العلة لجحده
من كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء

(فصــل) والوجه الثاني عشر من اعجازه انه منقول بالفاظ منزلة ومعان
مستودعة وبلغه الملك بلفظه وعلى نظمه وأداه الرسول الى الامة بمثله فلم ينخرم
فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ولا تغير له ترتيب حتى صار من الزلل مضبوطا ومن
التبديل محفوظا تستمر به الاعصار على شاكلته وتتداوله الالسن مع اختلاف
اللغات على نظمه وصفته لا يختلف بتعاقب الازمنة ولا يختل بتباعد الامكنة
ولا يتغير باختلاف الالسنة وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان
غويرت ألفاظها فان التوراة ألقى الله تعالى معانيها الى موسى عليه السلام
فذكرها بلفظه وعبر عنها بكلامه وأما الانجيل فهو ما أخبر به عيسى عليه السلام
عن ربه وعن نفسه فجمعه تلامذته بالفاظهم وجعلوه كتابا متلوا وأما الزبور
فأدعية بتحاميد وتسابيح تنسب الى داود عن لفظه ولئن كانت معاني هذه الكتب
مضافة الى الله تعالى فليست بصيغة لفظه ولا على نظم كلامه كما نزل القرآن جامعا
لالفاظه ومعانيه وترتيبه فصار مباينا لجميع كتبه وما هذا الا بمعونة إلهية حفظ الله
تعالى بها اعجازه وأمد بها رسوله كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
(فان قيل) فحفظ الكلام على صيغة لفظه واشتمال معانيه لا يكون معجزا كأشعار

الجاهلية القدماء وأمثال من سلف من الحكماء فعنه جوابان أحدهما ان في هذا محولا ومتروكا فلم يحفظ والثاني انه لا يعلم حاله فلم ينضبط والقرآن مخالف لهما في حفظه وضبطه

(فصــــل) والوجه الثالث عشر من اعجازه اقتران معانيه المتغايرة واقتران نظائرها في السور المختلفة فيخرج في السورة من وعد الى وعيد ومن ترغيب الى ترهيب ومن ماض الى مستقبل ومن قصص الى مثل ومن حكم الى جدل فلا ينبو ولا يتنافر وهي في غيره من الكلام متنافرة فتجانس معانيها وكذلك هي في غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع سفر فان التوراة مقسومة على خمسة أسفار وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من المعاني المستودعة فيها فالسفر الاول لذكر بدء الخلق والسفر الثاني لخروج بني اسرائيل من مصر والسفر الثالث لامر القرابين والسفر الرابع لاحصاء موسى بني اسرائيل وما دبرهم به والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعل اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها فكان أفضل ما في التوراة عند اليهود العشر الكلمات المشتملة على الوصايا التي خاطب الله تعالى بها موسى وبها يستحلفون دون غيرها وأفضل ما في الانجيل الصحف الاربعة المنسوبة الى تلامذة المسيح الاربعة وهي المخصوصة بالقراءة في الصلاة والاعياد وأفضل ما في الزبور ما اتفق أهل الكتابين على اختياره وما اشتمل عليه القرآن من تغايرها أولى من وجهين أحدهما أن لا يختص قارئه بأحدها فيعدل عن غيره والثاني أن يستوعب اذا أراد جميعها قراءة جميعه فيستكمل فوائده ويستجزل ثوابه (فان قيل) فالتفصيل أبلغ في البيان من الامتزاج فالجواب عنه ما ذكرناه من الوجهين

(فصــل) والوجه الرابع عشر من اعجازه ان اختلاف آياته في الطول والقصر لا يخرج عن اسلوبه ولا يزول عن اعتداله وغيره من نظم الكلام ونثره اذا تفاصلت أجزاؤه زال عن وزن منظومه واعتدال منثوره فصار ذلك من اعجازه (فان قيل) زيادة طوله هذر ونقصان قصره حصر فكيف يكون معجزا اذا تردد بين هذر وحصر فعنه جوابان أحدهما ان الزيادة تكون هذرا اذا لم تفد

والنقصان يكون حصراً اذ الم يقنع والزيادة من طوله مفيدة والنقصان من قصره مقنع فخرج عن الهذر والحصر والثانى ان الطويل لو انفرد لم يكن هذرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا فلم يكن اجتماعهما موجبا للهذر وحصر كاختلاف السور فى القصر والطول فان أقصر السور سورة الكوثر وتشتمل مع قصرها على أربعة معان اخبار بنعمة وأمر بعبادة وبشرى بعيرة وأسلوب هو معجزة فلم تخرج اذا قرنت بما هو أطول أن تكون معجزة .

(فصل) والوجه الخامس عشر من اعجازه ان مكثر تلاوته لا يزداد به فصاحة وان ازداد بغيره من فصيح الكلام لخروجه عن طباع البشر فخارجها فصار اسلوبه معجزا فى الحالين وعلى كلا الوجهين (فان قيل) ما لا يؤثر فى الطباع ناقص عن الكمال فكيف يوصف بالكمال فعنه جوابان أحدهما ان كماله فيه فلم يلزم تعديه والثانى ان كماله يوجب المنع من تساويه

(فصل) والوجه السادس عشر من اعجازه تيسيره على جميع الالسنة حتى حفظه الاعجمى الابكم . ودار به لسان القبطى الالكن ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجرى به ألسنة البكم كجريها به وما ذاك الا بخصائص إلهية فضله بها على سائر كتبه (فان قيل) فقد يحفظ الشعر كحفظه والعلة فيه اعتدال وزنه الذى يحفظ بعضه بعضاً فلم يكن ذلك معجزا فعنه جوابان أحدهما ان ما اندرس من الشعر أكثر مما احتفظ وهذا محفوظ لم يندرس فاختلفا والثانى ما لم تستعذبه الافواه متروك والقرآن مستعذب غير متروك فافترقا

(فصل) والوجه السابع عشر من اعجازه ان الكلام يترتب ثلاث مراتب منثور يدخل فى قدرة الخلق وشعر هو أعلى منه يقدر عليه فريق ويعجز عنه فريق وقرآن هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرها تجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين (فان قيل) لو كان القرآن برهانا معجزا لخرج كثيره وقليله عن القدرة وقليله مقدور عليه وهو ان يجمع بين ثلاث كلمات منه أو أربع فكذلك كثيره لان الشئ اذا دخلت أوائله فى جنس الممكن خرجت أواخره من جنس الممتنع فعنه جوابان أحدهما ان قليله وكثيره خارج عن القدرة

اذا انتظم اعجازه وهو كأقصر سورة منه فبطل هذا الاعتراض والثانى انه ليس القدرة على الكلمة والكلمتين منه قدرة على استكمال ما يقع من التحدى كالمتعم فى الشعر لا تكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر قدرة على نظم بيت كامل من الشعر

(فصل) والوجه الثامن عشر من اعجازه ان الزيادة فيه ممتازة وتغيير ألفاظه منه مفتضحة ولو كان فى القدرة لالتبس ولو أمكن لاشتبه (فان قيل) فقد زيد فيه فالتبس واشتبه وهو ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه سورة النجم بمكة قرأها فى المسجد الحرام حتى بلغ الى قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ثم تمم السورة وسجد فسجد معه المسلمون وفرح المشركون فسجدوا معه ورضيت كفار قريش به وسمع به من هاجر الى أرض الحبشة فعادوا الى أن أنكر عليه جبريل فشق عليه ونزل فيه قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته قالوا ومعلوم ان هذه الزيادة هى فى مثل اسلوب السورة وليست من الله تعالى وقد اشتبهت فلم لا كان ما سواها بمثابتها فعنه جوابان أحدهما ان هذه زيادة لا تبلغ قدر التحدى فخرجت عن حكمه الثانى انه أنزل فيها التى عندهم أيها الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فاشتبه على قريش وحذفوا منه قوله التى عندهم فنسخ الله تعالى لهذا الاشتباه تلاوة هذه الزيادة

(فصل) والوجه التاسع عشر من اعجازه عجز الامم عن معارضته وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم تخرجهم انفة التحدى وصبروا على نقص العجز مع شدة حميتهم وقوة انفتهم وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ولو وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان فى مقدورهم داخلا وقد جعله حجة لهم فى رد رسالته لعارضوه ولما عدلوا عنه الى بذل نفوسهم فى قتاله وسفك دمائهم فى محاربته (فان قيل) فليس يمتنع أن يكونوا قد عارضوه بمثله فكتم كما كتم ما تحدى به من

الاشعار وقرف به من المعار فعنه جوابان أحدهما انهم لو عارضوه لظهر ولو ظهر لانتشر لان تكاتم الاستفاضة لا تستطاع لما في الطباع من الاذاعة وفي نفثات الصدور من الاشاعة ولقيل قد عورض فكتم كما قيل هجي فكتم ولو جاز هذا في معارضة القرآن لجاز مثله في معجزة كل نبي أن يقال قد عورض معجزه فكتم فيفضي الى ابطال كل معجز وهذا مدفوع في معارضة غير القرآن فكان مدفوعا في معارضة القرآن والثاني انه قد جعل معارضته حجة لهم في رد رسالته فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ولما احتاجوا معه الى القتال والمحاربة مع بذل النفوس واستهلاك الاموال ولدفعوه بالاهون دون الاصعب وقد نقل ما عورض به فظهر فيه العجز وبان فيه النقص حتى فضحه ركاكة لفظه وسخافة نظمه ﴿فحكى﴾ ابن قتيبة عن مسيلمة أنه قال في معارضة القرآن يا ضفدع نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع هذا أبو بكر رضي الله تعالى عنه قال ان هذا الكلام لم يخرج من إلّ ﴿وحكى عن غيره﴾ وأحسبه العنسي أنه قال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى ﴿وحكى عن آخر﴾ الفيل وما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل فان ذلك من خلق ربنا القليل * وحكى الحكم عن عكرمة ان النضر بن الحرث وكان من فصحاء قريش عارض القرآن فقال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فاللاقمات لقما ﴿وقال آخر﴾ قد أفلح من هينم في صلاته وأطعم المسكين من مخلاته وأخرج الواجب من زكاته ﴿وقال آخر﴾ في معارضة سورة النجم والنجم اذا سما والبحر اذا طما ما زاغ منذركم وما طغى وما كذب بها وغوى فيما نطق به وروى فأنزل الله تعالى في ذلك ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء فهذه المعارضة وقد احتذوا فيها مثالا عدلوا بها عن طوال السور الى قصارها فاتوا بسقيم الكلام دون سليمه وبسخيفه دون جيده فكيف يقابل به غايته القصوى ويوازي به طبقته العليا وهل ذلك الا كمن عارض فصاحة سحبان بعي باقل أو تخليط مجنون بحزم عاقل أو قاس الدر بالمدر وشاكل بين الصفو

والكدر ومن تعاطى ماليس فى طبعه افتضح نخرّ صريعا وهوى سريعا
(فصل) الوجه العشرون من اعجازه الصرفة عن معارضته واختلف من
قال بها هل صرفوا عن القدرة على معارضته أو صرفوا عن معارضته مع دخوله
فى مقدورهم على قولين أحدهما انهم صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوا
والقول الثانى انهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله فى مقدورهم * والصرفة اعجاز
على القولين معا فى قول من نفاها وأثبتها لخرقها العادة فيما دخل فى القدرة
(فان قيل) فان عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما تقاربه وان
نقص عن رتبته والمعجز مالم يمكن مقاربته كما لا يمكن مماثلته فعنه جوابان
أحدهما ان مقاربته تكون بما فى مثل اسلوبه اذا قصر عن كماله والاسلوب ممتنع
فبطلت المقاربة وثبت الاعجاز والثانى ان المقاربة تمنع من المماثلة والتحدى
انما كان بالمثل دون المقاربة
(فصل) فاذا ثبت اعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد
منها معجزا فاذا جمع القرآن سائرها كان اعجازه أقهر وحجاجه أظهر وصار كفلق
البحر واحياء الموتى لان مدار الحجة فى المعجزة ايجاد مالا يستطيع الخلق مثله
سواء كان جسما مخترعا أو جرما مبتدعا أو عرضا متوهما (فان قيل) أفيعتبرون
عجز العرب العاربة عنه دون المولدين أو عجز الجميع (قيل) فيه خلاف بين أهل
العلم على وجهين أحدهما ان المعتبر فيه عجز الجميع ليكون أعم والوجه الثانى
معتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين ليكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا
يعوّل على تكلفه وتعلمه وهكذا اختلفوا هل يعتبر فيه عجز أهل عصره أو فى
جميع دهره على هذين الوجهين أحدهما يعتبر فيه عجز أهل العصر لانهم حجة
على أهل كل عصر والوجه الثانى أنه يعتبر فيه عجز أهل كل عصر لعموم التحدى
فيه لاهل كل عصر (فان قيل) فليس عجز كل الانس عن مثله موجبا لاضافته الى
الله تعالى لجواز أن تكون الشياطين أعانت عليه حتى خرج عن مقدور الانس
كما أعانت سليمان على ما عجز عنه الانس * فعنه أجوبة * أحدها ان هذا يتوجه
على موسى فى فلق البحر وعلى عيسى فى احياء الموتى ويقدح فى جميع النبوات

فلم يجز لمن أثبتها أن يخص به بعض المعجزات * والجواب الثانى ان الشياطين لم يعرفوا الا من الرسل ولولاهم لما علم الناس ان فى الدنيا شيطانا ولا جنا ولا جانا وقد جهر الرسل بلعنهم ودعوا الى معصيتهم ولو كانوا أعوانا لدعوا الى طاعتهم وموالاتهم لان معونة من أطيع وولى أحق من معونة من عصى وعودى * والجواب الثالث ان الشياطين لا يقدرون على ذلك الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا عليه فان كان عن أمره كان معجزا لانه من فعله وعلى هذا كان تسخير سليمان للجن والله تعالى غنى عن الشياطين أن يكونوا سفراء الى رسله وأعوانا لانبيائه وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصيته هذا القرآن وقد تحدى به الجن كما تحدى به الانس بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وحكى عنهم عجزهم عنه بقوله سبحانه انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به

(فصل) فاذا تقررت هذه الجملة فى اعجاز القرآن فباعجازه يعلم انه من غير كلام البشر ولا يعلم انه من عند الله تعالى الا بقول الرسول فلو أراد الرسول أن يقول مثله لم يقدر عليه لانه من البشر الا أن يمده الله تعالى بعون منه فيصير قادرا عليه ومعجزا له لو لم يضف القرآن الى الله تعالى فاما مع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ويكون مصروفا عنه لان ما أضيف الى الله تعالى يمتنع أن يكون من غيره لدخوله فى جملة الكذب ثم يصير القرآن أصلا للشرع ومعجزا للرسول فيجب على الامة التزام أحكامه وطاعة الرسول * واختلف فى لزوم طاعته هل وجبت بعد ثبوت رسالته بالعقل أو بالشرع على وجهين أحدهما بالعقل لان طاعة الرسول طاعة المرسل والوجه الثانى بالشرع بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم لان الرسول مبلغ * واذا كان القرآن أصلا للشرع فقد اختلف العلماء فى حد الاصل والفرع على وجهين أحدهما ان حد الاصل ما دل على غيره وحد الفرع ما دل عليه غيره فعلى هذا يكون القرآن فرعا لعلم الحس لانه الدال على صحته والوجه الثانى ان الاصل ما تفرع عنه غيره والفرع ما تفرع عن غيره فعلى هذا يمتنع أن يكون القرآن فرعا لعلم الحس لان الله تعالى تولاه

وجعله أصلا دل العقل عليه واختلف العلماء فى ابلاغ الرسول هل يكون أمرا أو اعلاما فقال بعضهم يكون أمرا يلزم الامة أحكامه لو عرفوه قبل ابلاغه والوجه الثانى يكون اعلاما ويلزمهم أحكامه لو عرفوه قبل ابلاغه ويجوز أن يعلم جميع الاحكام الشرعية من القرآن ولا يجوز أن يعلم جميعها من الاجماع ولا من القياس لانهما يعقدان عن أصل مشروع * واختلف فى جواز العلم بجميعها من سنة الرسول فجوزه بعضهم لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وامتنع منه بعضهم لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والله تعالى أعلم

(الباب الثامن فى معجزات عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم)

أظهر الله تعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من أعلام نبوته بعد ثبوتها باعجاز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ماجعله زيادة استبصار يحج بها من قلت فطنته ويذعن لها من ضعفت بصيرته ليكون اعجاز القرآن مدركا بالخواطر الثاقبة تفكرا واستدلالا واعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه وعيانه واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه لان لكل فريق من الناس طريقا هى عليهم أقرب ولهم أجذب فكان ماجمع انقياد الفرق أوضح سبيلا وأعم دليلا * فن معجزاته * عصمته من أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير وهم على أتم حنق عليه وأشد طلب لنفسه وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر ترمقه أبصارهم شزرا وترتد عنه أيديهم ذعرا وقد هاجر عنه أصحابه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ثم خرج عنهم سليما لم يكلم فى نفس ولا جسد وما كان ذلك الا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحققها حيث يقول والله يعصمك من الناس فعصمه منهم

(فصل) وان قريشا اجتمعت فى دار الندوة وكان فيهم النضر بن الحرث بن كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبعرى وكان شاعر القوم فحضهم على

قتل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم الموت خير لكم من الحياة فقال بعضهم
كيف نصنع فقال أبو جهل هل محمد إلا رجل واحد وهل بنو هاشم الا قبيلة
من قبائل قريش فليس فيكم من يزهد في الحياة فيقتل محمدا ويريح قومه وأطرق
مليا فقالوا من فعل هذا ساده فقال أبو جهل ما محمد بأقوى من رجل منا وانى
أقوم اليه فأشدخ رأسه بحجر فان قتلت أرحت قومى وان بقيت فذاك الذى أوثر
فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن فقام يصلى فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود
فقال أبو جهل فانى أقوم فاريحكم منه فأخذ مهراسا عظيما ودنا من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه وهو يراه فلما دنا منه ارتعد
وأرسل الحجر على رجله فرجع وقد شدخت أصابعه وهو يرتعد وقد نفخت أوداجه
ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد فقال أبو جهل لاصحابه خذونى اليكم
فالتزموه وقد غشى عليه ساعة فلما أفاق قال له أصحابه ما الذى أصابك قال لما دنوت
منه أقبل على من رأسه فحل فاغرفاه فحمل على أسنانه فلم أتمالك وانى أرى محمدا
محجوبا فقال له بعض أصحابه يا أبا الحكم رغبت وأحببت الحياة ورجعت قال
ما تغرونى عن نفسى قال النضر بن الحرث فان رجع غدا فانا له قالوا والله يا أبا سهم
لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من الغد اجتمعوا في الحطيم منتظرين رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فواثبوه فاخذ حفنة من
تراب وقال شاهت الوجوه وقال حم لا يبصرون فتفرقوا عنه وهذا دفع إلهى وثق
به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله وكان من أقوى شاهد على صدقه ﷺ ومن
أعلامه ﷺ ان معمر بن يزيد وكان أشجع قومه استغاثت به قريش وشكوا اليه أمر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه وتطيع أمره
فلما شكوا اليه قال لهم انى قادم الى ثلاث وأريحكم منه وعندى عشرون ألف مدجج
فلا أرى هذا الحى من بنى هاشم يقدر على حربى وان سألونى الدية أعطيتهم عشر
ديات ففى مالى سعة وكان يتقلد بسيف طوله سبعة أشبار فى عرض شبر وقصته فى
العرب مشهورة بالشجاعة والباس فلبس يوم وعده قريشا سلاحه وظاهر بين

درعين فوافقهم بالحطيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحجر يصلي وقد عرف ذلك فما التفت ولا تزعزع ولا قصر في صلاة فقيل له هذا محمد ساجد فأهوى اليه وقد سل سيفه وأقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعاد فلما صار الى باب الصفا عثر في درعه فسقط فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدو حتى بلغ البطحاء ما يلتفت الى خلف فاجتمعوا وغسلوا عن وجهه الدم وقالوا ماذا أصابك قال ويحكم المغرور من غره قالوا لما شأنك قال ما رأيت كاليوم دعوني ترجع الى نفسي فتركوه ساعة وقالوا اما أصابك يا أبا الليث قال انى لما دنوت من محمد فاردت أن أهوى بسيفي اليه أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران وتلمع من أبصارهما فعدوت فما كنت لاعود في شئ من مساءة محمد (ومن أعلامه) أن كلدة ابن أسد أبا الاشد وكان من القوة بمكان خاطر قريشا يوما في قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعظموا له الخطر ان هو كفاهم فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال فجاء كلدة ومعه المزراق فرجع المزراق في صدره فرجع فزعا فقالت له قريش مالك يا أبا الاشد فقال ويحكم ما ترون الفحل خلفي قالوا ما نرى شيأ قال ويحكم فانى أراه فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزأت به ثقيف فقال أنا أعذركم لو رأيتم ما رأيت لهلكتم ﴿ومن أعلامه﴾ ان أبا لهب خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة انك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا وان أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتلته لم ينكر أبو طالب ولا حمزة منك شيأ وأنت برئ من دمه فنؤدى نحن الدية وتسود قومك فقال فانى أكفيكم ففرحوا بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان في تلك الليلة وكان مشرفا عليه نزل أبو لهب وهو يصلي وتسلقت امرأته أم جميل الحائط حتى وقفت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد فصاح به أبو لهب فلم يلتفت اليه وهما كانا لا ينقلان قدما ولا يقدران على شئ حتى تفجر الصبح وفرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أبو لهب يا محمد اطلق عنا فقال ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا لي انكما لا تؤذياني قالا قد فعلنا فدعا ربه فرجعا ﴿ومن أعلامه﴾ ان قريشا اجتمعوا في الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة فقال ان هذا ابن عبد المطلب قد نغص

علينا عيشنا وفرق جماعتنا وبدد شملنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا
وكان في القوم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة والنضر بن
الحرث ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأمية وأبي ابنا خلف في جماعة من صناديد قريش
فقال له قل ما شئت فانا نطيعك قال سأقوم فأكلمه فان هو رجع عن كلامه وعما يدعو
اليه والا رأينا فيه رأينا فقالوا له شأنك يا أبا عبد شمس فقام فتقدم الى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو جالس وحده فقال أنعم صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله قد
أبدلنا بهذا السلام تحية أهل الجنة قال يا ابن أخي اني جئتك من عند صناديد
قريش لأعرض عليك أمورهم ان أنت قبلتها فلك الحظ فيها ولنا فيها الفسحة ثم
قال يا ابن عبد المطلب انا زعيم قريش فيما قالت قال قل قال يا ابن عبد المطلب انك
دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل مني ما أقول لك قال قل قال ان كان ما تدعو
اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير تعب ونتوجك فارجع عن ذلك فسكت
ثم قال له وان كان ما تدعو اليه أمرا تريد به امرأة حسناء فنحن نزوجك فقال لا قوة
الا بالله ثم قال له وان كان ما تتكلم به تريد مالا أعطيناك من الاموال حتى تكون
أغنى رجل في قريش فان ذلك أهون علينا من تشتت كلمتنا وتفريق جماعتنا وان
كان ما تدعو اليه جنونا داويناك كما تداوى قيس بني ثعلبة مجنونهم فسكت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ما تقول وبم أرجع الى قريش فقال النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون حتى بلغ الى قوله فان
أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال عتبة فلما تكلم بهذا
الكلام فكأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسي من اعجازها وقام فزعا يجر
رداءه فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور وقام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يصلي فقالت قريش لقد ذهبت من عندنا نشيطا ورجعت فزعا مرعوبا
فما وراءك قال ويحكم دعوني انه كلمني بكلام لا أدري منه شيأ ولقد رعدت على الرعدة
حتى خفت على نفسي وقلت الصاعقة قد أخذتني فندموا على ذلك (قال ابن عرفة)
الصاعقة اسم للعذاب على أي حال كان وانما أهلكت عاد بالريح وثمود بالرجف

فسمى الله تعالى ذلك صاعقة قال الازهرى الصاعقة صوت الرعد الشديد الذى يصعق منه الانسان أى يغشى عليه ﴿ومن أعلامه﴾ انه لما أراد الهجرة خرج من مكة ومعه أبو بكر فدخل غارا فى جبل ثور ليستخفى من قريش وقد طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة حمراء فاعانه الله تعالى على اخفاء أثره وأنبت على باب الغار ثمامة وهى شجرة صغيرة وألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار ونسج سنين فى طرفة عين ولدغ أبو بكر هذه الليلة غير لدغة فخرق ثيابه وجعلها فى الشقوق وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقيه سراقة بن مالك بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال له أبو بكر هذا سراقة قد قرب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنا سراقة فأخذت الارض قوائم فرسه الى ابطها فقال سراقة يا محمد ادع الله أن يطلقنى ولك على أن أرد من جاء يطلبك ولا أعين عليك أبدا فقال اللهم ان كان صادقا فاطلق عن فرسه فاطلق الله عنه ثم أسلم سراقة وحسن اسلامه ﴿ومن أعلامه﴾ أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفرد فى غزوة ذى أمر عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه دعثور فسل سيفه وقال يا محمد من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم الى الاسلام وفيه نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم (ومن اعلامه) ان الناس لما انهزموا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وهو معتزل عنهم رآه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة فقال اليوم أدرك ثارى وأقتل محمدا الان أباه قتل يوم أحد فى جماعة اخوته وأعمامه قال شيبة فلما أردت قتله أقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك فعلمت انه ممنوع (ومن اعلامه) أن عامر بن الطفيل واربد بن قيس وهو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قومهما من بنى عامر فقال عامر لاربد اذا قدمنا على محمد فانى شاغل عنك وجهه فاعله أنت بالسيف حتى تقتله قال اربد افعل ثم أقبل عامر يمشى وكان رجلا جميلا حتى قام على رأس رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد مالى ان أسلمت فقال لك ما للاسلام وعليك ما على الاسلام قال ألا تجعلنى الوالى من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل تغزو بها فقال أوليست لى اليوم ولكن اجعل لى ولك المدد قال ليس ذلك لك فقال قم يا محمد الى ههنا فقام اليه فوضع عامر يده بين منكبيه ثم أومأ الى أربد أن اضرب فسل أربد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك الله يده فلم يستطع أن يسله ولا يغمده فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أربد فرآه على ما هو عليه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت اللهم اهد بنى عامر واغن الدين عن عامر فانطلقا وعامر يقول والله لأملأنها عليك خيلا دهما وردا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأبى الله ذلك وأبناء قيلة يعنى الانصار ثم قال عامر لاربد ويلك لم أمسكت عنه فقال والله ما هممت به مرة الا رأيتك ولا أرى غيرك أفأضربك بالسيف وسارا فأما عامر فطرح الله عليه الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول * أغدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بنى سلول * وركب فرسه فركضه حتى مات * وأما أربد فقدم على قومه فقالوا ما وراءك يا أربد فقال والله لقد دعانا محمد الى عبادة شئ لوددت انه عندى الآن فارميه بنبلى هذا حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته بيوم أو يومين ومعه جمال له تتبعه فارسل الله عليه وعلى جماعته صاعقة أحرقتهم وقيل نزل فى صاعقته قول الله تعالى وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا يعنى خوفا من الصواعق وطمعا فى المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة وهو أخو أربد لأمه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

أفجعنى الرعد والصواعق بالفا * رس يوم الكريهة النجد

كل بنى حرة مصيرهم * قل وان اكثرت من العدد

ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا * يوما يصير واللهلاك والنكد

(فان قيل) فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها (قيل) العداوة ظاهرة والطلب معلوم والسلامة موجودة فلم تدفع جملة الاخبار ولم يصح فى جميعها توهم الكذب وان جاز فى آحادها توهم الكذب كالمحكى من سخاء حاتم وشجاعة عنترة

(الباب التاسع فيما شوهد من معجزات أفعاله)

ان الله تعالى قدر لعباده أفعالا كما قدر لهم أجساما وآجالا انتهى الى غاية أعجزهم عن تجاوزها لتكون أفعالهم مقصورة على عرف مألوف وحد معروف يتوصلون بها الى مصالحهم فيعلمون أن ما تجاوزها وخرج عن عرفها من أفعال الله تعالى فيهم لا من أفعالهم فان ظهرها فى أحدهم دل على اختصاصه بالله تعالى دونهم .فكان بها ممتازا والله تعالى مجازا ليخص بطاعة إلهية كما اختص بأفعال لاهوتية فلذلك صارت الافعال المعجزة شاهدة على صحة النبوة ﴿فمن اعلامه﴾ ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال قلت لجابر بن عبد الله حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعته منه أرويه عنك. فقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق نحفر فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقدر عليه فعرضت فى الخندق كدية غليظة لا يعمل فيها الفأس فجئت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت هذه كدية قد عرضت فى الخندق ورششنا عليها الماء فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل فلما رأيت ذلك منه قلت يا رسول الله ائذن لى فأذن لى فجئت الى امرأتى فقلت ثكلتك أمك انى رأيت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ لا صبر لى عليه فما عندك قالت عندى صاع من شعير وعناق قالت فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناه وجعلناها فى البرمة وعجنا العجين ثم رجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فأذن لى فجئت فاذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز وجعلت القدر على الاثافى ثم جئت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشاورته وقلت عندنا طعيم لنا فان رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك فعلت فقال ما هو وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال ارجع الى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الاثافى ولا يخرج الخبز من التنور حتى آتى ثم قال للناس قوموا الى بيت جابر فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتى قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأصحابه أجمعين فقالت أكان سألك كم الطعام قلت نعم

قالت الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندنا فذهب عني بعض ما أجده وقلت لها صدقت وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل ثم قال لاصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور والبرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف ونقرب اليهم ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة فاذا هما قد عادا الى أملأ مما كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الناس قد أصابهم مخمصة فكلوا وأطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم قال فاخبرني انهم كانوا ثمانمائة أو قال مئين أقل من الثمانمائة وهذا نظير معجزة عيسى عليه السلام في المائدة ﴿ومن أعلامه﴾ ما رواه مالك بن أنس عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول قال أبو طلحة لام سليم لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شئ قالت نعم فأخرجت اقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم أرسلني الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته في المسجد معه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال للطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقبل معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا أم سليم هلمي ما عندك فجاءت بذلك الخبز فأمر به ففت وعصرت أم سليم عكة لها ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما شاء أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا والمعجز فيه مع اطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه ﴿ومن أعلامه﴾ ما رواه أنيس بن أبي يحيى

عن اسحق بن سالم عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي ادع لي أصحابك يعني أصحاب الصفة قال فجعلت أتبعهم رجلا رجلا أوقظهم حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأذنا فأذن لنا ووضعت بين أيدينا صحفة أظن فيها صنيعا قدر مد من الشعير فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده فقال خذوا بسم الله فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين وضعت الصحفة والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعام غير شيء ترونه فقيل لابي هريرة قدر كم كانت حين فرغتم قال مثلها حين وضعت الا ان فيها أثر الاصابع *ومن اعلامه* ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حصل بالحديبية وهي جافة قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه فاخرج سهما فدفعه الى البراء بن عازب وقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية وهي جافة ففعل فجاش الماء ونادى الناس بعضهم بعضا من أراد الماء فقال أبو سفيان قد ظهر بالحديبية قليب فيه ماء ثم قال لسهيل بن عمرو وقم بنا الى ما فعل محمد فاشرفا على القليب والعيون تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل فلما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من الماء ثم قال للبراء اذهب فرد السهم فلما فرغوا وارتحلوا أخذ البراء السهم فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء وهذا نظير ما أعطي موسى من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا *ومثله ما روي انه في غزوة بني المصطلق دعا بركوة جافة ثم تفل فيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عيون حتى شرب الخيل والابل وملئ كل سقاء *ومن أعلامه* ان قوما شكوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ملوحة مائها فقام بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء الزلال وكانت غائرة وأنها على حالها الى اليوم ويتوارثها أهلها يعدونها من أعظم مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سألوه مثلها فتفل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار وهي الى اليوم على حالها *وجاءته صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة بصبي لها قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده فاستوى شعره فبلغ ذلك قوم مسيلمة فاتوه بصبي مثله فمسح

رأسه فصلع و بقي نسله صلعا الى وقتنا هذا ﴿ومن اعلامه﴾ مارواه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك جماعة فلما أشرفنا على القاع اذ نحن بالوادي والماء يقلع الاشجار ويهدهد الجبال فقدرنا الماء فاذا هو أربع عشرة قامة فقال بعض الناس يارسول الله العدو من ورائنا والوادي قدامنا فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد ودعا ثم قال سيروا على اسم الله فعبرت الخيل والابل والرجال فكان الفتح والغلبة له وهذا نظير فلق البحر لموسى ﴿نوع آخر من أعلامه﴾ روى الحسن ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني قدمت من سفر لي فبينا بنت خماسية تدرج حولي في وصيفها وحلمها أخذت بيدها فانطلقت بها الى وادي فلان فطرحتها فيه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انطلق معي فأرني الوادي فانطلق معه الى الوادي فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأبيها ما كان اسمها فقال فلانة فقال النبي يافلانة أجيبي باذن الله فخرجت الصبية وهي تقول لبيك يارسول الله وسعديك فقال لها ان أبويك قد أساآ فان أحببت ان أردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خير أب منهما * وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى ﴿ومن اعلامه﴾ ان طفيلا العامري جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فشكا اليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره ان يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا وأتاه حسان بن عمرو الخزاعي مجذوما فدعا له بماء فتفل فيه ثم أمره فصبه على نفسه فخرج من علته كأن لم تكن به قط فرجع ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا عن آخرهم وأتاه قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه برص فتفل عليه فما بقي عليه الا مقدار الحبة * وهذا نظير ما كان من عيسى بن مريم عليه السلام في ابراء الاكمه والابرص ﴿ومن أعلامه﴾ مارواه سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انصرف ليلة من العشاء فأضاءت له برقة فنظر الى قتادة بن النعمان فعرفه فقال يانبي الله كانت ليلة مطيرة فأحببت أن أصلي معك فأعطاه عرجونا وقال خذ هذا يستضيء لك ليلتك فاذا أتيت بيتك فان الشيطان قد خلفك فانظر في الزاوية على يسارك فدخلت فنظرت حيث قال فاذا أنا بسواد

معلق به حتى سبقني وفي هذا الخبر معجزات من فعل وقول ﴿ومن اعلامه﴾ أن أبا قتادة بن ربعي جاءه يوم أحد وقد انقلعت احدى عينيه وتعلقت على وجهه فقال يا رسول الله صلى الله تعالى عليك ان لي امرأة وأخشى أن يقضي هذا عندها فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى موضعها فكانت أحسن عينيه * ومثله ما رواه عروة بن الزبير ان زبيرة أسلمت فاصيبت بصرها فقالوا لها أصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها فقال عظماء قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زبيرة فأنزل الله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ﴿ومن أعلامه﴾ ان جرهدا أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه طبق فأدنى يده الشمال ليأكل وكانت اليمنى مصابة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل باليمين فقال يا رسول الله انها مصابة فنفث عليها فما اشتكاها بعد الى ساعته وأبصر رجلا يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد وكان كلما رفع اللقمة الى فيه ذهبت في شق آخر ﴿ومن اعلامه﴾ شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهودة عجفاء وضراء فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت لبنا وامتلأت سمنا وبقيت على حالها الى أن وافاها أجلها وأهدت له أم شريك عكة فيها سمن فأخذ منه شيأ ورد العكة عليها فلم تزل العكة تصب سمنا مدة طويلة الى أمثال هذا ونظائره (فان قيل) لا يثبت اعجاز النبوات بمثل هذا من أخبار الآحاد فعنه جوابان أحدهما ان رواة الآحاد قد أضافوه اليه في جمع كثير قد شاهدوه وسمعوا راويه فصدقوه ولم يكذبوه وفي الممتنع امساك العدد الكثير عن رد الكذب كما يمتنع افتعالهم للكذب ولئن جاز اتفاقهم على الصدق مع الكثرة والافتراق وامتنع اتفاقهم على الكذب فلان دواعي الصدق عامة متناصرة ودواعي الكذب خاصة متنافرة ولذلك كان صدق أكذب الناس أكثر من كذبه لانه لا يجد من الصدق بدا ويجد من الكذب بدا والثاني انها أخبار وردت من طرق شتى وأمور متغايرة فامتنع أن يكون جميعها كذبا وان كان في آحادها مجوز فصار مجموعها من التواتر ومفترقها من الآحاد فصار متواتر مجموعها حجة وان قصر مفترق

آحادها عن الحجة والله تعالى أعلم

(الباب العاشر فيما سمع من معجزات أقواله)

والمعجزات من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليلا لان الخبر ما احتمل الصدق والكذب وحقيقة الخبر ما كان عن ماض فاما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازا فلئن أضيف المستقبل الى فعل المخبر كان وعدا يصح من نبي وغير نبي وان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة لا يصح الا من نبي مبعوث وعن وحي منزل اذا تكرر عاريا عن الاسباب المنذرة ولئن ظهر خبر من غير نبي فهو بالاتفاق عن حدس ان صح في خبر لم يصح في كل خبر ويصح من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل خبر لانه من الله تعالى المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي وفي خزائن الله ههنا تأويلان أحدهما خزائن الرزق فاغني وأفقر والثاني خزائن العذاب فاعجل وادخر وفي قوله ولا أعلم الغيب تأويلان أحدهما علم الخزائن على ما مضى من التأويلين والثاني علم ما غاب عن ماض ومستقبل الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه عليه من أنبيائه وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين اما من مخلوق معاين أو من خالق مخبر فكانت الاخبار المستقبلة من آيات الله تعالى المعجزة فاما الماضية فان علم بها غير المخبر لم تكن معجزة وان لم يعلم بها أحد كانت آية معجزة وفي قوله ولا أقول لكم اني ملك تأويلان أحدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد وان قدرت عليه الملائكة والثاني انه من البشر وليس بملك لينفي عن نفسه غلو النصارى في المسيح وفي نفيه أن يكون ملكا تأويلان أحدهما انه دفع عن نفسه منزلة الملائكة تفضيلا لهم على الانبياء والثاني اني لست ملكا في السماء فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان كان الانبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما يشاهده الملائكة وفي قوله ان أتبع الا ما يوحى الي تأويلان أحدهما لن أخبركم الا بما أطلعني الله عليه والثاني لن أفعل الا ما أمرني الله به قل هل يستوي الاعمى والبصير فيه تأويلان أحدهما العالم

والجاهل والثانى المؤمن والكافر فثبت بما قررناه ان فى الاقوال معجزة كالافعال فكانت من اعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ما اختص بقول الرسول دون ما تضمنه القرآن لان القرآن معجز فى الخبر وغير الخبر

(فصل) ومجىء الاخبار ينقسم على أربعة أقسام اخبار استفاضة واخبار تواتر واخبار آحاد بقرائن واخبار آحاد مجردة فأما اخبار الاستفاضة والتواتر فقد أطلق أهل العلم ذكرهما ولم يفرقوا بينهما وهما عندى مفترقان لان اختلاف الاسماء موضوع لاختلاف المسمى فكان حملها على حقيقة الاختلاف أولى من حملها على مجاز الائتلاف فاخبار الاستفاضة ما بدأت منتشرة عن كل مخبر من بر وفاجر عن قصد وغير قصد ويحققها كل سامع من عالم وجاهل فلا يختلف فيها مخبر ولا يتشكك فيها سامع ويستوى طرفاها ووسطها فتكون أوائلها كأواخرها وتناهيها وهو أقوى الاخبار ورودا وأبلغها ثبوتا * وأما أخبار التواتر فهو ما أخبر به الواحد بعد الواحد حتى كثروا وبلغوا عددا ينتفى عن مثلهم المواطأة على الكذب والاتفاق على الغلط ولا يعرض فى خبرهم شك ولا توهم فيكون من أوله من أخبار الآحاد وفى آخره من أخبار التواتر فيصير مخالفا الاخبار الاستفاضة فى أوله وموافقا لها فى آخره ويكون الفرق بين خبر الاستفاضة وخبر التواتر من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكرناه من اختلافهما فى الابتداء والانتهاء والثانى ان أخبار الاستفاضة قد تكون عن غير قصد وأخبار التواتر لا تكون الا عن قصد والثالث ان أخبار الاستفاضة لا يعتبر فيها عدالة المخبرين ويعتبر فى أخبار التواتر عدالة المخبرين ثم يستوى الخبران فى انتفاء الشك عنهما ووقوع العلم بهما ومثال الاستفاضة فى أحكام الشرع اعداد الصلوات ومثال التواتر فى أحكام الشرع نصب الزكوات واختلف فى وقوع العلم بهما هل هو علم اضطرار أو علم اكتساب على وجهين أحدهما انه علم اكتساب وقع عن استدلال وهو قول بعض أصحاب الشافعى وبعض المتكلمين لان العلم بخبرهم يقترن بصفات تختص بهم فصار طلب الصفات استدلالا لا يوصل الى العلم بخبرهم واختلاف

القائلون بهذا هل اكتسب العلم به من الخبر أو المخبر على وجهين أحدهما من الخبر لانه المقصود والثاني من المخبر لانه المبلغ فهذا قول من جعله علم استدلال والوجه الثاني وهو قول الاكثرين من الفقهاء والمتكلمين انه علم اضطرار أدرك ببداية العقول لان العلم به قد يسبق الى اليقين من غير نظر ويستقر في القلوب من غير انتقال * واختلف القائلون بهذا في علمه بالاضطرار هل هو من فعل المخبر أو من فعل الله تعالى على وجهين أحدهما انه من فعل المخبر لوصوله اليه بنفسه وهو قول أكثر الفقهاء والوجه الثاني انه من فعل الله تعالى لانه الملجئ اليه وهو قول أكثر المتكلمين واختلف من قال بهذا منهم على وجهين أحدهما انه من فعل الله تعالى في الخبر والثاني انه من فعله في المخبر والذي أراه أولى ان أخبار الاستفاضة توجب علم الاضطرار وأخبار التواتر توجب علم الاستدلال لاستغناء الافاضة عن نظر واحتياج التواتر الى نظر مع وقوع العلم بهما وزعمت الامامية انه لا يقع العلم باخبار الاستفاضة والتواتر الا أن يكون في الخبرين امام معصوم أو يصدقهم عليه امام معصوم * وحكي * عن ضرار بن عمرو ان حجة الاستفاضة والتواتر لا تقوم بعد الرسل بنقل أقواله وأفعاله الا باجماع الامة على صدقهم أو صحة نقلهم وكلا القولين مدفوع بقضايا العقول لانها تضطر الى العلم بها كعلم الاضطرار بالمشاهدات ومدركات الحواس لان الاخبار بالبلاد ان فيها مكة والصين يعلم بالاضطرار كما يعلم بالمشاهدة وكما يعلم الانسان ان تحته أرضا وسماء فوقه لوجود أنفسنا عالمة بها على سواء ولما في غرائز الفطر من ذلك * قال طفيل الغنوي وهو اعرابي بطبع سليم من التكلف وبديهة خالصة من التعمق والتعسف ما يدل على وقوع العلم باخبار الاستفاضة والتواتر

تأوبني هم من الليل منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب

تظاهرن حتى لم تكن لي ريبة * ولم يك فيما أخبروا متعقب

(فصل) وأما أخبار الآحاد فضربان أحدهما أن يقترن بها ما يوجب العلم بمضمونها وقد يكون ذلك من خمسة أوجه أحدها أن يصدقه عليه من يقطع بصدقه كالرسول أو من أخبر الرسول بصدقه فيعلم به صدق المخبر وصحة الخبر

والثانى أن تجتمع الامة على صدقه فيعلم باجماعها انه صادق فى خبره والثالث أن يجمعوا على قبوله والعمل به فيكون دليلا على صدق خبره والرابع أن يكون الخبر مضافا الى حال قد شاهدها عدد كثير وسمعوا روايته الخبر فلم ينكروه على المخبر فيدل على صحة الخبر وصدق المخبر والخامس أن يقترن بالخبر دلائل العقول فان كان مضافا اليها كان صدقا لازما لانها لاتوافقها الا ما يكون الا حقا وان كان مضافا الى غيرها لم يدل موافقها على صدق الخبر وان أوجب صحة ما تضمنه الخبر *والضرب الثانى أن ينفرد خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه فهى أمارة توجب عليه الظن ولا تقتضى العلم يقوى اذا تطاول به الزمان فلم يعارض برد ولا مخالفة وان تكرر فى معناها ما يوافقها صار جميعها متواترا وان كان افرادها آحادا واذا استقرهذا الاصل فى الاخبار ولم يخرج المروى من اعلام الرسول عنها وقد ذكرنا ما روى من أفعاله وسنذكر ما روى من أقواله (فمنها) ما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فصدق الله خبره وحقق ما ذكره وملك أمته أقطار الارض حتى دان له بشرعه من فى المشرق والمغرب *وقال عليه السلام لعدى بن حاتم لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه فلكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم ولكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفارة لا يخاف الا الله فأبصر عدى ذلك كله وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده فى قوله ليظهره على الدين كله *ومن أعلامه* ما رواه البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المعول فأخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن فصدق الله قوله وأعطاه ما فتح له *وروى كعب بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم رحما وذمة يعنى لن

أم اسمعيل بن ابراهيم كانت مارية ﴿ومن أعلامه﴾ انه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه فلما قرأه أنف لنفسه من ابتدائه باسمه فمزق كتابه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تمزق ملكه ثم كتب كسرى فى الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران أن احمل الى هذا الذى يذكر انه نبى وبدأ باسمه قبل اسمى ودعانى الى غير دينى فبعث اليه فيروز بن الديلمى مع جماعة من أصحابه وكتب معهم كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى فأتاه فيروز بمن معه وقال له ان ربى يعنى كسرى أمرنى أن أحملك اليه فاستنظره ليلة فلما كان من الغد حضر فيروز مستحثا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنى ربى انه قتل ربك البارحة سلط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل فأمسك ريثما يأتيك الخبر فراع ذلك فيروز وهاله وعاد فيروز الى باذان فاخبره فقال له باذان كيف وجدت نفسك حين دخلت اليه فقال والله ما هبت أحدا قط كهيبة هذا الرجل فقال باذان ان كان ما قاله حقا فهو نبى فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله فى تلك الليلة من تلك الساعة فأسلم باذان وفيروز ومن معهم من الابناء وظهر العنسى بما افتراه من الكذب فارسل الى فيروز أن اقتله فقتله الله فقتله وفى هذا الخبر من آيات الغيوب ما لا يعلمه الا الله أو من أطلعه عليه ﴿ومن اعلامه﴾ انه رأى ذراعى سراقة بن مالك بن جعشم دقيقين أشعرين فقال كيف بك اذا ألبست بعدى سوارى كسرى فلما فتحت فارس دعاه عمر وألبسه سوارى كسرى وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم ﴿ومن أعلامه﴾ ما رواه جابر بن عبد الله قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان النجاشى أصحمة قد توفى هذه الساعة فاخرجوا بنا الى المصلى نصل عليه فصلى عليه وكبر أربعا فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط فأنزل الله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية ثم جاء الخبر بموت النجاشى من تجار وردوا من المدينة * ومثله ما روى أن ريحا هبت بتبوك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لموت منافق عظيم النفاق قد مات فى ذلك الوقت ﴿ومن أعلامه﴾ انه قال لاصحابه اليوم نصرت

العرب على العجم وبى نصروا وجاء خبر الوقعة بذى قار مما أدال الله تعالى فيه العرب من العجم حين قتلت فيه بنو شيبان و بكر بن وائل من الفرس من قتلوا وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وجاءهم الخبر انه كان فى الساعة من اليوم الذى أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ ومن أعلامه ❊ انه كشف الله تعالى له ماغاب عنه فى جيش مؤتة فقال لاصحابه أخذ الراية زيد بن حارثة وتقدم فقتل ومضى شهيدا ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبى طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا و وقف وقفة ثم قال وأخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا الان عبدالله بن رواحة توقف عن أخذ الراية بعد قتل جعفر زمانا ثم أخذها قال ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد فكشف العدو عنهم حتى خلصوا ثم قام الى بيت جعفر بن أبى طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه ونعى جعفرا الى أهله وجاءت الاخبار بانهم قتلوا فى ذلك اليوم على ماوصفه ❊ ومن أعلامه ❊ قوله فى ليلة الاسراء حين أصبح مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما واذا اناء فيه ماء وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت مافيه ورددت الغطاء كما كان وآية ذلك ان عيرهم الآن تقبل من موضع كذا يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى رقاء فابتدر القوم الثنية فوجدوا ماوصف وسألهم عن الاناء فوجدوا الامر كما قال ❊ ومن أعلامه ❊ انه رأى عليا كرم الله وجهه فى غزاة العشيرة على التراب ومعه عمار فقال لهما ألا أخبركما بأشقى الناس قالا بلى قال أشقى الناس أحمر ثمود عاقر الناقة والذى يخضب يا على هذه من هذه وأشار الى لحيته من رأسه وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا صاع من لبن فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله لعلى كرم الله وجهه ما كان وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه بان قال انما قتله من جاء به ❊ ومثله ماروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال زيد وما زيد يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند فى سبيل الله وقال الخلافة بعدى ثلاثون ومابعد ذلك ملك ❊ نوع آخر من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ انه نزل بجيشه فى غزوة تبوك على غير ماء وهم نحو من ثلاثين ألفا فعطشوا

وشكوا ذلك اليه فبعث أبا قتادة وأبا طلحة وسماك بن خرشنة وسعد بن عبادة يلتمسون الماء فغابوا الى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيأ وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب فصلى بأصحابه متيمما فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث أسيد بن حضير وأسامة يلتمسون الماء من الاعراب فقال المنافقون ان محمدا يخبر باخبار السماء وهو لا يدرى الطريق الى الماء فأتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقولهم وسماهم له فشكى ذلك الى سعد بن عبادة فقال سعد ان شئت ضربت أعناقهم فقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا ثم قال لابى الهيثم بن التيهان وأبى قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون الطريق ويأخذون على الكثيب فتقف ساعة فان عجوزا من الاعراب تمر بكم على ناقة لها معها اسقاء من ماء فاطعموها واشتروا منها باعز وهان وجيؤا بها مع الماء فمضوا حتى بلغوا الموضع الذى وصف لهم فاذا بالمرأة فقالوا اتبيعينا هذا الماء قالت أنا وأهلى أحوج الى الماء منكم فطلبوا اليها أن تأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت ان هذا الساحر خير الاشياء أن لا أراه ولا يرانى فشدوها وناقا حتى جاؤا بها مع الماء فلما وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلوا عنها وقال لها اتبيعين هذا الماء قالت ان أهلى أحوج اليه منكم قال فائذنى لنا فيه وليصيرن ذلك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابى قتادة هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا لا ظننا أن يكون نصف الميضأة فوضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيد والناس يأخذون حتى ما أبقوا معهم سقاء الاملؤه وأرووا خيلهم وابلهم والميضأة ملأى ثم زاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السقاء حتى ملأه وبقى فى الميضأة ثلثاه ثم توضؤا كلهم حين أصبحوا وهو يزيد ولا ينقص ❊ ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ ان ناقة له ضلت فى توجهه الى تبوك فتفرق الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم وفى رحل عمارة زيد بن اللصيت وكان يهوديا قد أسلم ونافق فقال زيد فى رحل عمارة يزعم محمد انه نبى يخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان منافقا يقول أليس محمد يزعم

انه نبي ويخبركم بخبر السماء ولا يدري أين ناقته والله لا أعلم الا ما علمني ربي وقد أعلمني انها في الوادي في شعب كذا حبستها شجرة بزمامها فبادر الناس فوجدوها كذلك فاتوه بها فرجع عمارة بن حزم الى رحله وقال لقد عجبت مما ذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل كان في رحله مع زيد بن اللصيت ان زيدا قال هذا قبل أن تطلع علينا فوجأ عمارة زيدا في عنقه وقال انك لداهية في رحلي اخرج يا عدو الله منه ولاجل مالقيه في غزاة تبوك من الجهد قال لاصحابه ألا أسركم قالوا بلى يارسول الله قال ان الله تعالى أعطاني الليلة الكنزين فارس والروم وأمدني بالملوك ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله ويأكلون فيأ الله فكان ذلك

﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ انه بعث خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل من كندة فقال خالد يارسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب وانما أنا في عدد يسير فقال ستجده يصيد البقر فتأخذه فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة قمراء صائفة وهو على سطح له من شدة الحر مع امرأته فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقال أكيدر والله ما رأيت بقرا جاءتنا ليلا غير هذه الليلة لقد كنت أضمر لها الخيل اذا أردتها شهرا أو أكثر ثم نزل فركب بالرجال والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنظر اليهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك فساعة فصل أخذته الخيل فاستؤسر أكيدر ﴿ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ انه لما قاضى سهيل بن عمرو بالحديبية حين صدته قريش عن العمرة وكتبت بينه وبينه القضية قال لعلي كرم الله تعالى وجهه اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لو أعلم انك رسول الله ما صددتك ولكن أقدمك لشرفك اكتب محمد بن عبد الله فقال يا علي امح رسول الله فقال علي لا أستطيع أن أمحو اسمك من النبوة فمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده الى الموضع فمحاه وقال لعلي ستسام مثلها فتجيب فقيل له مثلها يوم الحكمين حين ذكر في كتاب التحكيم هذا ما تحاكم عليه علي أمير المؤمنين فقال له عمرو لو سلمنا انك أمير المؤمنين ما نازعناك فمحا أمير المؤمنين ولما قال سهيل ذلك قال عمر يارسول

الله دعني أنزع ثنيي سهيل لئلا تبغ بلسانه فلا يقوم علينا خطيبا أبدا * وكان سهيل أعلم الشفة السفلى فكان خطيبا بينا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعه يا عمر فعسى أن يقوم لك مقاما تحمده فكان من حسن قيامه بمكة حين هاج أهلها بموت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفى عتاب بن أسيد ما تحمد اثره * ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم * ما حكاه السدي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فأتاه الحطم بن هند البكري وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الى ما تدعو فأخبره فقال انظرني فلي من أشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق فهو يرتجز يقول

لقد لفها الليل * سواق حطم   ليس براعي ابل * ولا غنم

ولا بجزار * على ظهر وضم   باتوا نياما * وابن هند لم ينم

بات يقاسيها * غلام كالزلم   مدلج الساقين * ممسوح القدم

ثم أقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدي فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث اليه فنزل عليه قوله تعالى (لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) فقال له ناس من أصحابه هذا صاحبنا خل بيننا وبينه فقال انه قد قلد * نوع آخر من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم * ما روى عاصم بن عمرو عن قتادة قال لما رجع المشركون الى مكة من بدر قال عمير بن وهب الجمحي لصفوان بن أمية قبح الله العيش بعد قتلى بدر والله لولا دين علي لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيأ لرحلت الى محمد حتى أقتله ان ملأت عيني منه فانه بلغني انه يطوف في الاسواق فقال له صفوان دينك علي وعيالك اسوة عيالي فاعمد لشأنك فجهزه وحمله على بعير فشحذ عمير سيفه وسمه وسار الى المدينة فدخلها متقلدا سيفه فبصر به عمر رضي الله تعالى عنه فوثب اليه ووضع حمائل سيفه في عنقه وأدخله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هذا عدو الله

عمير بن وهب فقال تأخر عنه يا عمر ثم قال له ما أقدمك قال لفداء أسيري عندكم قال فما بال السيف قال قبحها الله وهل أغنت من شئ وانما نسيته حين نزلت وهو في رقبتي فقال له فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ففزع عمير وقال ماذا شرطت له قال تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك والله تعالى حائل بينك وبين ذلك فقال عمير أشهد انك لرسول الله وانك صادق وأشهد أن لا إله الا الله كنا نكذبك بالوحي من السماء وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان كما قلت لم يطلع عليه أحد غيري فقال عمر والله لخنزير كان أحب الي منه حين طلع وهو الساعة أحب الي من بعض ولدي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره فقال عمير اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله وقد هداني الله فله الحمد فائذن لي فألحق قريشا فادعوهم الى الله والى الاسلام فأذن له فلحق بمكة ودعاهم فاسلم معه بشر كثير وحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا ﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما حكاه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قال ما كان أحد أبغض الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك وقد قتل منا ثمانية كل منهم يحمل اللواء فلما فتح الله تعالى مكة يئست مما كنت أتمناه من قتله وقلت في نفسي قد دخلت العرب في دينه فتى أدرك ثاري منه فلما اجتمعت هوازن بحنين قصدتهم لأجد منه غرة فاقتله فلما انهزم الناس عنه وبقي مع من ثبت معه جئت من ورائه فرفعت السيف حتى كدت أحطه غشي فؤادي ورفع لي شواظ من نار فلم أطق ذلك وعلمت انه ممنوع فالتفت الي وقال ادن يا شيب فقاتل ووضع يده في صدري فصار أحب الناس الي وتقدمت فقاتلت بين يديه ولو عرض لي أبي لقتلته في نصرته فلما انقضى القتال دخلت عليه فقال لي الذي أراد الله بك خير مما أردته لنفسك وحدثني بجميع ما زورته في نفسي فقلت ما اطلع على هذا أحد الا الله فاسلمت ﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه محمد بن ابراهيم بن شرحبيل عن أبيه قال كان النضير بن الحرث بن كلدة يصف شدة عداوته كانت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتله لاخيه النضر بن الحرث قال وكنت شهدت بدرا فرأيت قلة المسلمين وكثرة قريش فلما

نشب القتال رأيت المسلمين أضعاف قريش فانهزمت قريش ورأيت يومئذ
رجالا على خيل بلق بين السماء والارض معلمين يأسرون ويقتلون فهربت
مذعورا ثم خرجت معه بعد الفتح الى هوازن لاصيب منه غرة فلما انهزم المسلمون
صعدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو فى وجه العدو واقف على بغلة
شهباء حوله رجال بيض الوجوه فاقبلت عامدا اليه فصاحوا بى اليك اليك
فرعب فؤادى وارعدت جوارحى فقلت هذا مثل يوم بدر ان الرجل لعلى حق
وانه معصوم فادخل الله فى قلبى الاسلام ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعد رجوعه من الطائف فحين رآنى قال النضير قلت لبيك قال هذا خير لك
مما أردت يوم حنين ماحال الله بينك وبينه ﴿ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه
وسلم﴾ انه قال لعمه العباس وقد أسر يوم بدر افد نفسك وابنى أخيك عقيلا ونوفلا
وحليفك فانك ذو مال فقال يارسول الله انى كنت مسلما وأخرجت مكرها فقال الله
أعلم باسلامك فأين المال الذى وضعته بمكة عند أم الفضل حين خرجت وليس معكما
أحد فقلت ان أصبت فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا فقال والذى
بعثك بالحق ماعلم بهذا أحد غيرى وغيرها وانى لأعلم انك رسول الله ففدى نفسه
وابنى أخيه وحليفه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيعوضك
خيرا ان كان ماقلته من اسلامك حقا فعوضه الله تعالى مالا جما ﴿ومن اعلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ماروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد
الذهاب الى أم فروة الانصارية قال لاصحابه انطلقوا بنا الى الشهيدة فنزورها
وأمر أن يؤذن لها ويقام وان تؤم أهل دارها فى الفرائض فقتلها فى أيام عمر رضى
الله تعالى عنه غلام وجارية كانا لها فصلبهما عمر رضى الله تعالى عنه فكانا أول من
صلب فى الاسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول
انطلقوا نزور الشهيدة ﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ مارواه عامر بن
عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما
فرغ قال ياعبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لايراك أحد فلما برزعنه عمدالى
الدم فحساه فلما رجع قال ياعبد الله ماصنعت قال جعلته فى أخفى مكان ظننت انه

خاف عن الناس قال اعلك شربت الدم قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس الى أمثال ذلك من نظائره التي يطول الكتاب بذكره حتى كان المنافقون لا يخوضون في شئ من أمره الا أطلعه الله عليه فكان يخبرهم به حتى كان بعضهم يقول لصاحبه أسكت وكف فوالله لو لم يكن عنده الا الحجارة لأخبرته حجارة البطحاء (فان قيل) فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز نبوة يقهر ولا آية رسالة تظهر لان المنجمين يخبرون بذلك ولا يكون من اعجاز الانبياء وآيات الرسل فعنه ثلاثة أجوبة أحدها ان المنجم يعمل على حساب ويرجع على استدلال ولا يتكرر قولا الا بعدهما وأخبار الرسل عن بديهة تخلو من سبب وتعرى عن استدلال والثاني ان من خلا من علم النجوم لم يصح الاخبار عنها ولم يتعاط محمد صلى الله عليه وسلم علم النجوم ولا خالط أهلها فيكون مخبرا عنها فبطل أن يخبر بها الا عن علام الغيوب المطلع على ضمائر القلوب والثالث ان المنجم يصيب في الاقل ويخطئ في الاكثر ويستحسن منه الصواب ولا يستقبح منه الخطأ وأخبار الرسل كلها صدق لا يتخلله كذب وصواب ولا يعتوره زلل

﴿الباب الحادي عشر فيما أكرم به صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة أدعيته﴾

ان الله تعالى لما فضل الانبياء على جميع خلقه مما فوض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة تخصوا باجابة الادعية ليكون عونا على ما كلفهم وآية على من أنكرهم فدخل بهذا الامتياز في أقسام الاعجاز ﴿فمن اعلامه صلى الله عليه وسلم في الاجابة﴾ ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا والنجم اذا هوى قال عتبة ابن أبي لهب كفرت بالذي دنا فتدلى فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك يعني الاسد فخرج عتبة مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا في طريقهم زأر الاسد فجعلت فرائص عتبة ترعد فقال أصحابه من أي شئ ترعد فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الاسد يستنشي رؤسهم رجلا رجلا حتى

انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ✽ ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ✽ ان المستهزئين به من قريش وهم سبعة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى والاسود ابن عبد يغوث الزهرى وفكيهة بن عامر الفهرى والحرث بن الطلاطلة والاسود ابن الحرث وابن عيطلة كانوا يكثرون منه الاستهزاء ويواصلون عليه الاذاء وكان لا يقرأ الا مستسرا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أى لا تجهر بها فيؤذوك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعوك وابتغ بين الجهر والاسرار سبيلا فأذن لاصحابه حين اشتدبهم الاذى فى الهجرة الى أرض الحبشة لان ملكها كان منصفا ورغب الى الله تعالى أن يكفيه أمرهم فنزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين ✽ وفى قوله فاصدع بما تؤمر تأويلان أحدهما امض لما تؤمر به من ابطال الشرك والثانى أظهر ما تؤمر به من الحق ✽ وفى قوله وأعرض عن المشركين تأويلان أحدهما استهزئ بهم والثانى لا تهتم باستهزائهم انا كفيناك المستهزئين يعنى بما عجله من اهلاكهم فاما الوليد بن المغيرة فانه ارتدى فعلق بردائه شوك فذهب يجلس عليه فقطع أكحله فنزف فمات لوقته وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات من يومه وأما الاسود بن عبد يغوث فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا عليه بالعمى وثكل ولده فاتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت حدقتاه على وجهه وقتل ولده زمعة يوم بدر فاعمى الله بصره وأثكله ولده وأما فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد وأما الحرث بن الطلاطلة فانه خرج لبعض حوائجه فضربه السموم فى الطريق فاسود منه ومات وأما الاسود بن الحرث فأكل حوتا مملوحا فاصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه ومات وأما ابن عيطلة فاستسقى فمات ✽ ومثله ما رواه ابن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصلى فى ظل الكعبة وناس من قريش وأبو جهل قد نحر واجزورا فى ناحية مكة فبعثوا فجاؤا بسلاها وطرحوه

بين كتفيه وهو ساجد فجاءت فاطمة فطرحته عنه فلما انصرف قال اللهم عليك
بقريش وبابي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي
معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد رأيتهم قتلى في قليب بدر ❊ ومن أعلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ أن خباب بن الارت أتاه حين اشتد الاذى من قريش
فقال يارسول الله ادع لنا ربك أن يستنصر لنا على مضر فقال انكم تعجلون لقد كان
الرجل ممن قبلكم يمشط بامشاط الحديد حتى يخلص الى مادون عظمه من لحم
أو عصب ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه وانكم تعجلون والله ليمضى هذا
الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على
غنمه ثم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى
يوسف فقطع الله عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وأجدبت الارض
وماتت المواشى واشتووا القد وأكلوا العلهز فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه
فعطف ورغب الى الله تعالى فمطروا ❊ ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊
مارواه ابن عباس قال قيل لعمر حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر رضى
الله تعالى عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قيظ شديد فنزلنا
منزلا أصابنا فيه عطش حتى خشينا ان تنقطع رقابنا فكان الرجل يذهب
ليلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن ان رقبته ستنقطع وحتى كان الرجل ينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل مابقى على صدره فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه
يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فلم يرجعها حتى مالت السحاب فأظلت
وأمطرت حتى رووا وملؤا مامعهم من الاوعية فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت
العسكر ❊ ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ مارواه مسلم الملائى عن أنس
ابن مالك قال أتى اعرابى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله
لقد أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صبى يصطبح ثم أنشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ❊ وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الصبى استكانة ❊ من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الفسلى
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا غير رايث تنبت به الزرع وتملأ به الضرع وتحيى به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فما استتم الدعاء حتى التقت السماء بأروقتها فجاء أهل البطانة يضجون يا رسول الله الغرق فقال حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذى ينشدنا شعره فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يعوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقام رجل من كنانة وأنشد

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبى المطر
دعا الله خالقه دعوة * وأشخص معها اليه البصر
فلم يك الا كالقاء الردى * وأسرع حتى رأينا الدرر
وفاق العزالى جم البعاق * أغاث به الله عليا مضر
وكان كما قاله عمه * أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقى صوب الغمام * وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يك شاعر يحسن فقد أحسنت * ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم * ما أظهره الله تعالى من كرامته فى عمه العباس حين استسقى به عمر رضى الله تعالى عنه متوسلا اليه بعمه فخرج يستسقى به وقد أجدب الناس فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبير رجاله

فاحفظ اللهم نبيك فى عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين اليك مستغفرين فقال العباس وعيناه ينضحان اللهم أنت الراعى لا تهمل الضالة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون فنشأت السحاب وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيأ لك ساقى الحرمين فقال حسان بن ثابت

سأل الامام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس
أحيا الاله به البلاد فأصبحت * مخضرة الاجناب بعد اليأس

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب يفتخر بذلك

بعمى سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب راغبا * فما كر حتى جاد بالديمة المطر

﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ماروى ان أسماء بنت عميس قالت لفاطمة ان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أوحى اليه فجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس أو كادت تغيب ثم انه سرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أصليت ياعلى قال لا فقال اللهم رد على على الشمس فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد ﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ماروى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال بعثنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى وأنا حدث السن لا علم لى بالقضاء قال انطلق فان الله تعالى سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال على رضى الله تعالى عنه فما شككت فى قضاء بين اثنين ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقضاكم على ومثله قوله لابن عباس وهو يومئذ غلام اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فخرج أفقه الناس فى الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمى البحر لسعة علمه ﴿ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ مارواه أبو العالية عن أبى هريرة قال أتيت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بتميرات فقلت ادع الله لى بالبركة فيهن فصففهن على يدى ثم دعا
بالبركة فيهن ثم قال اجعلهن فى المزود فاذا أردت شيأ فادخل يدك فيه ولا تنثره
قال أبو هريرة فلقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا فى سبيل الله وكنا نأكل منه
ونطعم وكان لا يفارق حقوى فلما كان يوم قتل عثمان انقطع فذهب ❊ ومن
اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ ما رواه جعيل الأشجعى قال غزوت مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته فقال سر يا صاحب الفرس فقلت
يا رسول الله هى عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها
قال فلقد رأيتنى ما أمسك رأسها أن تقدم الناس ولقد بعت من بطنها باثنى عشر
ألفا ❊ ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ ما روت عائشة رضى الله تعالى عنها
قالت قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض فيه فقال
اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وصححها لنا وبارك لنا فى صاعها
ومدها وانقل حماها الى الجحفة فصارت كذلك ❊ ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه
وسلم ❊ انه أخذ يوم بدر كفا من حصى وتراب ورمى به فى وجوه القوم وقال شاهت
الوجوه فتفرق الحصى فى المشركين ولم يصل ذلك الحصى والتراب أحدا الا قتل
أو أسر وفيه نزل قول الله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى ❊ ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ❊ ان الطفيل بن عمرو
الدوسى قدم مكة وكان شاعرا لبيبا فقالت قريش له احذر محمدا فان قوله كالسحر
يفرق بين المرء وبين زوجه فأتاه فى بيته وقال يا محمد اعرض أمرك فعرض عليه
الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى
راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون عونا عليهم فقال
اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بثنية وقع نور بين عينى مثل المصباح
فقلت اللهم فى غير وجهى أخشى أن يظنوا بى انها مثلة فتحول فوقع فى رأس
سوطى فجعل الحاضرون يرون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط
من الثنية ثم دعوت رؤساء قومى الى الاسلام فأبطؤا فجئت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله انهم قد غلبونى على دوس فادع الله عليهم فقال

اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بارض دوس أدعوهم حتى أسلموا ❊ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم❊ مارواه أبو نهيك الازدى عن عمرو بن أخطب قال استسقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فاتيته باناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعتها ثم ناولته فقال اللهم جمله قال فرأيته بعد ثلاث وتسعين مافى رأسه ولحيته شعرة بيضاء❊ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينتف الرجل شعره فى الصلاة فرأى رجلا ينتف شعره فى الصلاة فقال قبح الله شعرك فصلع مكانه (فان قيل) فاجابة الادعية لاتكون معجزة للنبوة لانه قد تجاب دعوة غير الانبياء (قيل) أدعية الانبياء مجابة على العموم فى جميعها وأدعية غيرهم ان أجيبت فعلى الخصوص فى بعضها لان الانبياء منطقون بالحق فاذا انطقت ألسنتهم بالدعاء صادف ماأمروا به فاجيبوا اليه وغيرهم قد ينطق بالحق وبغيره فان أجيبت أدعيتهم فهو تفضل يقف على مشيئة الله تعالى

(الباب الثانى عشر فى انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم بما سيحدث بعده)

روى فضالة بن أبى فضالة الانصارى قال خرجت مع أبى الى ينبع عائد العلى بن أبى طالب عليه السلام وكان بها مريضا فقال له أبى يا أبا الحسن مايقيمك بهذا البلد لا آمن أن يصيبك أجلك فلا يكن أحد يليك الا أعراب جهينة فلو احتملت الى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال يا أبا فضالة أخبرنى حبيبى وابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أموت حتى أؤمر ولا أموت حتى أقتل الفئة الباغية ولا أموت حتى تخضب هذه من هذه وضرب بيده على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى ❊ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم❊ مارواه أبو سلمة عن أبى هريرة قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية القبطية فى بيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه تضاحكه فقالت يارسول الله فى بيتى من دون بيوت نسائك قال فانها على حرام ان أمسها ثم قال لها ياحفصة ألا أبشرك قلت بلى بأبى أنت وأمى قال يلى هذا الامر

من بعدي أبو بكر ثم يليه بعد أبي بكر أبوك اكتمي هذا علي فخرجت حتى دخلت على عائشة فقالت لها ألا أبشرك يا ابنة أبي بكر قالت بماذا فذكرت ذلك لها وقالت قد استكتمني فاكتميه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك الآيات ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فخرج معي يوصيني فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد هذا ولعلك تمر بمسجدي ومنبري فبكى معاذ ثم التفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل بوجهه نحو المدينة وقال ان أهل بيتي هؤلاء يرون أنفسهم أولى الناس بي وليس كذلك ان أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيثما كانوا اللهم اني لا أحل لهم فساد ما أصلحت ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عبد الله بن عباس قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل عثمان فلما دنا منه قال يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة تقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله يغبطك أهل المشرق والمغرب وتبعث يوم القيامة أميرا على كل مخذول ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما روي انه قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها انك أول أهل بيتي لحاقا بي ونعم السلف أنا لك فكانت أول من مات بعده من أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنسائه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج فتنبحها كلاب الحوءب يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت تقتل فقيل ان عائشة رضي الله تعالى عنها لما وصلت الى مياه بني عامر ليلا نبحتها الكلاب فقالت ما هذا قالوا الحوءب قالت ما أظنني الا راجعة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا ذات يوم كيف باحداكن اذا نبح عليها كلاب الحوءب ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه ثابت عن الحسن البصري قال

كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما يجيء ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد فيجلس على عنقه فاذا أراد أن يرفع رأسه أخذه فوضعه في حجره ثم قال ان ابني هذا سيد وان الله تعالى سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل يا محمد ان أمتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف فلما ذهب جبريل خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أصحابه والتربة في يده وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله فقال أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر فقال لها ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة قالت مالي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك شيأ سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار وأما المبير فانت فقال الحجاج أنا مبير المنافقين ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عبد الملك بن عمير قال قال معاوية رضي الله تعالى عنه والله ما حملني على الخلافة الا قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لي يا معاوية ان وليت فأحسن ﴿ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عبد الله بن عباس عن أبيه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نظر اليه مقبلا فقال هذا عمي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي يا عمي بي فتح الله هذا الامر وبرجل من ولدك يختم الى كثير من نظائر هذا

﴿الباب الثالث عشر في معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم﴾

اذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها واذا كانت البهائم مسلوبة

الأفهام مفقودة الكلام فليس بمستنكر اذا أراد الله تعالى به اظهار معجز أن يعطيها من المعرفة أن تنطق بما ألهمها وتخبر بما أعلمها ثم سلبها ذلك فتعود الى طبعها كما أحل فى الشجرة كلاما سمعه موسى وفى العصا أن صارت حية تسعى لتكون من باهر الآيات وقاهر المعجزات ❊فمن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ان رجلا كان فى غنمه يرعاها فاغفلها ساعة من نهاره فجاء له ذئب فأخذ منها شاة فاقبل يلهف فطرح الذئب الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال ويحك لم تمنعنى رزقا رزقنيه الله تعالى فجعل أهبان يصفق بيديه ويقول تالله ما رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أنتم عجب وفى شأنكم عبرة هذا محمد يدعو الى الحق ببطن مكة وأنتم لاهون عنه فهدى الرجل لرشده وأقبل حتى أسلم وحدث القوم بقصته وبقى لعقبه شرف يفخرون به على العرب ويقول مفتخرهم ❊أنا ابن مكلم الذئب ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه أبو سعيد الخدرى قال بينما راع يرعى فى الحرة غنما اذ جاء ذئب الى شاة من غنمه فانتزعها فحال الراعى بين الذئب والشاة فاقعى الذئب على عريمة ذنبه وقال الراعى ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى العجب من ذئب يقعى على ذنبه يكلمنى بكلام الانس فقال له الذئب ألا أحدثك بأعجب من هذا هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأخذ الراعى الشاة فأتى بها المدينة وأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى الناس فقال للراعى قم فحدثهم فقام يحدثهم فقال صدق الراعى وكان اسمه عميرا الطائى فسمى مكلم الذئب ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما روى ابن عمر عن أبيه عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به فيأكله فلما رأى الجماعة قال ما هذا قالوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يشق الناس وقال واللات والعزى ما أحد أبغض الى منك ولولا أن تسمينى قومى عجولا لعجلت بقتلك فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله دعنى أقوم فأقتله فقال يا عمر أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم قال للاعرابى ما حملك على ما قلت فقال واللات والعزى لا آمنت أو يؤمن بك هذا

الضب وأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياضب فاجابه الضب بلسان عربي مبين
يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من نوافي القيامة قال من تعبد قال
الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال
فمن أنا ياضب قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك
وقد خاب من كذبك فقال الاعرابي لا أتبع أثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على
ظهر الارض أحد أبغض الي منك وانك اليوم أحب الي من نفسي ومن والدي
واني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلانيتي أشهد أن لا إله الا الله وأنك محمد
رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي هداك بي ان هذا الدين يعلو
ولا يعلى فرجع الاعرابي الى قومه فأخبرهم بالقصة وكان من بني سليم فأتى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألف انسان منهم فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد
ابن الوليد رحمة الله عليه ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم ﴿ومن
آياته صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم حائطا للانصار ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفي الحائط عنز
فسجدت له فقال أبو بكر يارسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه العنز
فقال انه لا ينبغي أن يسجد أحد لاحد ولو كان ينبغي أن يسجد أحد لاحد لأمرت
المرأة أن تسجد لزوجها ﴿ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه عبد الله
ابن أبي أوفى قال بينما نحن قعود عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أتاه آت
فقال يارسول الله ناضح بني فلان قد ندبر عليهم قال فنهض ونهضنا معه فقلنا يارسول
الله لا تقربه فانا نخافه عليك فدنا من البعير فلما رآه البعير سجد له فوضع يده على
رأس البعير وقال هات السكان فوضعه في رأسه وأوصى به خيرا ﴿ومن آياته صلى
الله تعالى عليه وسلم﴾ ما رواه جبير بن مطعم قال كنا جلوسا عند صنم لنا قبل أن
يبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهر فنحرنا جزورا فسمعنا صائحا يصيح
اسمعوا الى العجب ذهب استراق السمع لنبي بمكة اسمه أحمد مهاجرا الى يثرب فكان
هذا من الآيات المنذرة والآثار المبشرة ﴿ومن آياته صلى الله تعالى عليه

وسلم ﴿ أنه بينما هو جالس فى أصحابه اذ هو بجمل قد أقبل له رغاء فوقف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون ما يقول هذا انه ليقول انى لآل فلان الحى من الخزرج استعملونى وكدونى حتى كبرت وضعفت فلما لم يجدوا فى حيلة يريدون ذبحى فأنا أستغيث بك منهم فأوقفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه له وخلاه فى الحى ﴿ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ما رواه بردعن مكحول قال بينما أهل دريح حى من عرب اليمن فى مجالسهم اذ أقبل عجل وسلم فسألهم وقال أهل دريح أمر نجيح ببطن مكة يصيح بلسان فصيح بشهادة أن لا إله الا الله فأجيبوه وقال وفيه نزل قول الله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا (فان قيل) فيجوز أن يكون ما سمع من كلام البهائم كالصدى يحكى كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصدى وهو كلام المتكلم ويكون ذلك بقوة يحدثها الله تعالى فى المتهيئ لذلك يخفى عن الاسماع والابصار فعنه جوابان أحدهما ان الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قابله قبل صوته فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا لكلام يحكيه فامتنع التشاكل والثانى ان القوة المهيأة لذلك ليست من جنس قوى البشر فلا يكون فى التفاضل اعجاز وانما هى خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا فصح هذا الاعتراض لبطل به الاعتراض

﴿ الباب الرابع عشر فى ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد ﴾

ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعد والكلام منها أغرب فليس بمستبعد ولا مستغرب أن يحدث الله تعالى فيهما من الآيات الخارجة عن العادة ما يحتج الله تعالى به من استبصر ويعذب به من استنصر ﴿ فمن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ما حكاه أهل النقل عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه خطب على الناس خطبته المعروفة بالناصعة فقال فيها الحمد لله الذى هو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب أيها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا أساس الفسوق وأحلاس

العقوق

العقوق فان الله تعالى يختبر عباده المستكبرين فى أنفسهم بأوليائه المستضعفين فى أعينهم ألا ترون انه اختبر الاولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بانواع الشدائد وتعبدهم بألوان المجاهد ليجعل ذلك أبوابا فتحا الى فضله وأسبابا ذللا لعفوه فاحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال أن تكونوا أمثالهم فلقد كانوا على أحوال مضطربة وأيد مختلفة وجماعة متفرقة فى بلاء أزل واطباق جهل من بنات موؤدة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم جداول نعيمها فهم حكام على العالمين وملوك فى أطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام على من كان يمضيها فيهم ولقد كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا أحد من أهل بيتك ونحن نسألك أمرا ان أجبتنا اليه وأريتناه علمنا أنك نبى ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب قال لهم وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله على كل شئ قدير فان فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فانى سأريكم ما تطلبون وانى لأعلم انكم لا تفيئون الى خير وان منكم من يطرح فى القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين انى رسول الله فانقلعى بعروقك حتى تقفى بين يدى باذن الله تعالى قال على رضى الله تعالى عنه فو الذى بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوى شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرفرفة وألقت بعضها الاعلى عليه وببعض أغصانها على منكبى وكنت عن يمينه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل نصفها كأعجب اقبال وأشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه

كما كان فأمره فرجع فقلت أنا لا إله الا الله فأنا أول مؤمن بك يا رسول الله وأول من أقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في أمرك هذا الا مثل هذا يعنوني وهذا حكاه خطيبا على الاشهاد وقل أن يخلو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته ولولاه لظهر الرد وان ندر وهذا من أبلغ آية وأظهر اعجازه ❁ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد هل من آية فيما تدعو اليه قال نعم ائت تلك الشجرة فقل لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها ويسارها وبين يديها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض حتى وقفت بين يديه فقال الاعرابي مرها الترجع الى منبتها فأمرها فرجعت الى منبتها فقال الاعرابي ائذن لي أسجد لك فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك فاذن له ❁ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ما رواه يعلى بن شبابة قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير فأراد أن يقضي حاجته فامر وديتين فانضمت احداهما الى الاخرى ثم أمرهما بعد قضاء حاجته أن يرجعا الى منبتهما فرجعتا ❁ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة نخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله ❁ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ انه مر في غزوة الطائف في كثيف من طلح فمشى وهو وسن من النوم فاعترضته سدرة فانفرجت السدرة له بنصفين فمر بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من أعصارنا هذه وكانت معروفة بذلك في مكانها يتبرك بها كل مار ويسمونها سدرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ ما رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير

وطلحة

وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسكن حرا فليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فسكن الجبل ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه قد سلكه من طيب عرفه ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه ثابت عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذ كفا من حصا فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في أيدينا فما سبحن في أيدينا ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاعرف حجرا من مكة كان يسلم على ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ان عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر فدفع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من خشب وقال قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحولت سيفا في يده فكان يقاتل به حتى قتله طليحة في الردة ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ انه كان يخطب الى جذع كان يستند اليه فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه فسكن ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ان مكرزا العامري أتاه فقال هل عندك من برهان نعرف به انك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغماتها من جودتها وهذا أبلغ من احياء عيسى للموتى ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ انه لما حاصر الطائف سم واله جذعة فكلمه منها الذراع فقالت لا تأكلني فاني مسمومة وهذا نظير احياء الموتى ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ انه أول ما أوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا سلم عليه بالنبوة وهذا نظير قول الله تعالى لداود يا جبال أوبى معه والطير ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه حمزة بن عمرو الاسلمى قال نفرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعه ❊ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم❊ ما رواه ابراهيم بن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال انكم تعدون الآيات عذابا وانا كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بركة لقد كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام (فان قيل) فقد يجوز أن يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل لراكب السفينة سير النخل والشجر * فعنه جوابان أحدهما انه وان تخيل ذلك لراكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد وهذا متحقق عند كل مشاهد على اختلاف أحواله والثانى ان راكب السفينة يعلم انه تخيل له غير معلوم وهذا معلوم غير متخيل (وان قيل) فقد يجوز أن يكون فى خواص الجواهر ما يجذب النخل والشجر كما فى خاص حجر المغناطيس أن يجذب الحديد (فعنه) جوابان أحدهما انه قد علم خاصية حجر المغناطيس وظهر ولم يعلم ذلك فى غيره فلم يوجد ولو كان ذلك موجودا لكان الملوك عليه أقدر ولكان مذخورا فى خزائنهم كادخار كل مستغرب ومستظرف ولجاز ادعاء مثله فى قلب الاعيان وابطال الحقائق والثانى انه لو كان ذلك لخاصية الجوهر جاذبا كان بظهوره جاذبا وعلاقاته للنخل والشجر فاعلا ولا ينقل اليه عن غيره وعنه الى غيره وكل هذا فيه معدوم وان كان فى حجر المغناطيس موجودا

(الباب الخامس عشر فى بشائر الانبياء عليهم السلام بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم)

ان الله تعالى عونا على أوامره واغناء عن نواهيه فكان أنبياء الله تعالى معانين على تأسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها وتبديه من أعلامها وشعائرها ليكون السابق مبشرا ونذيرا واللاحق مصدقا وظهيرا فتدوم بهم طاعة الخالق وينتظم بهم استمرار الحق وقد تقدمت بشائر من سلف من الانبياء بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مما هو حجة على أممهم ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم بما أطلعه الله تعالى على غيبه ليكون عونا للرسول وحثا على القبول (فمن ذلك) بشائر موسى عليه السلام فى التوراة (فأولها فى الفصل التاسع من السفر الاول لما هربت هاجر من سارة ترا آى لها ملاك وقال يا هاجر أمة سارة ارجعى الى سيدتك فاخضعى لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه اسمعيل لان الله تعالى قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس

وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع) وهذا لم يكن في ولد اسمعيل الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا قبله مقهورين فصار وابه قاهرين * ومنها قوله في هذا السفر لابراهيم حين دعاه في اسمعيل (وباركت عليه وكثرته وعظمته جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله لامة عظيمة) وليس في ولد اسمعيل من جعله لامة عظيمة غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم * ومنها في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام (ان الرب إلهكم قال اني أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم أجعل كلامي على فمه فأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم منه) ومعلوم ان أخا بني اسرائيل هم بنو اسمعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم * ومنها في الفصل العشرين من هذا السفر (ان الرب جاء من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم الى الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة) فجيء الله تعالى من طور سيناء هو انزاله التوراة على موسى واشراقه من ساعير انزاله الانجيل على عيسى لانه كان سكن في ساعير أرض الخليل في قرية ناصره واستعلاؤه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفاران هي جبال مكة في قول الجميع فان نا كروا كان دفعا لما في التوراة ولانه لم يستعل الدين كاستعلائه منها فاندفع الانكار بالعيان

(فصل من البشائر به) كان بين موسى وعيسى من الانبياء الذين أوتوا الكتاب باتفاق أهل الكتابين عليهم ستة عشر نبيا ظهرت كتبهم في بني اسرائيل فبشر كثير منهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم * فمنهم شعيا ابن أموص قال في الفصل الثاني والعشرين (قومي فازهري مصباحك) يعني مكة (فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك فقد تجلل الارض الظلام وغطى على الامم الضباب والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر كرامته عليك فتسير الامم الى نورك والملوك الى ضوء طلوعك ارفعي بصرك الى ما حولك وتأملي فانهم يستجمعون عندك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد بعيد وتسرين وتبتهجين من أجل انه يميل اليك ذخائر

البحر ويحج اليك عساكر الامم حتى تعمرك الابل المؤبلة وتضيق أرضك عن القطرات التى تجمع اليك ويساق اليك كباش مدين ويأتيك أهل سبا يحدثون بنعم الله ويحمدونه وتسير اليك أغنام قاذار) يعنى غنم العرب لانهم من ولد قاذار بن اسمعيل (ويرتفع الى مذبحى ما يرضينى وأحدث حينئذ لبيت محمدتى حمدا) وهذه الصفات كلها موجودة بمكة فكان ما دعا اليها هو الحق ومن قام بها هو المحق * وفى فصل آخر من كتابه (قال لى الرب قامض فأقم على المنظرة تخبرك بما ترى فرأى راكبين أحدهما راكب حمار) يعنى عيسى (والآخر راكب جملا) يعنى محمدا (فبينما هو كذلك اذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول هوت بابل وتكسرت آلهتها المنجورة على الارض فهذا الذى سمعت الرب إله اسرائيل قد أنبأتكم) وفى الفصل السادس عشر منه (لتفرح أرض البادية العطشى بتبتهج البرارى والفلوات ولتسر وتزهو مثل الوعل فانها استعطى باحمد محاسن لبنان ويكمل حسن الدساكر والرياض وسترون جلال الله تعالى بها) قال شعيا وسلطانه على كتفه يريد علامة نبوته على كتفه * وهذه صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبادية الحجاز * وفى الفصل التاسع عشر منه (هتف هاتف من البدو فقال خلوا الطريق للرب وسهلوا سبيل الهنا فى القفر فتستملئ الاودية مياها وتنيض فيضا وتنخفض الجبال والروابى انخفاضا وتصير الآكام دكادكا والارض الوعرة مذللة ملسا وتظهر كرامات الرب ويراها كل أحد) وفى الفصل العشرين منه وهو مذكور فى ثلاث وخمسين ومائة من مزامير داود (لترتاح البوادى وقراها ولتصير أرض قاذار مروجا ويسبح سكان الكهوف وليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب وليرفعوا تسابيحه فان الرب يأتى كالجبار المتلظى المتكبر وهو يزجر ويقتل أعداءه وأرض قاذار هى أرض العرب لانهم ولد قاذار والمروج ما صار حول مكة من النخل والشجر والعيون * وفى الفصل الحادى والعشرين منه أيضا (ان الضعفاء والمساكين يستسقون ماء ولا ماء لهم فقد جفت ألسنتهم من الظمأ وأنا الرب أجيب يومئذ دعوتهم ولن أهملهم بل أفجر لهم فى الجبال الانهار وأجرى بين القفار العيون وأحدث فى البدو أجساما وأجرى فى الارض العطشى ماء

معينا وأنبت في البلاقع القفار الصنوبر والآس والزيتون وأغرس في القاع الصفصف البرلير وهاجميعا ثم يتدبروا ويعلموا ان يد الله صنعت ذلك وقدوس اسرائيل ابتدعه (وهذه صفات بلاد العرب) فيما أحدث الله تعالى لهم فيها باسلامهم

(فصل ومن بشائر نوال بن نوتال من أنبياء بني اسرائيل) (ومثل الصبح المسلط على الجبال شعب عظيم عزيز لم يكن مثله قط ولا يكون بعده مثله الى أبد الابد أمامه نار تتأجج وخلفه لهيب وتلتهب الارض بين يديه مثل فردوس عدن فاذا جاز فيها وعبرها تركها برية خاوية زوبية كرؤية الجبل رجالته فرسراع مثل الفرسان أصواتهم كصوت لهب النار الذي يحرق الهشيم رجفت الارض أمامهم وتزعزعت السماء وأظلمت الشمس وغاب نور النجوم والرب أسمع صوتا بين يدي أجناده لان عسكره كثير جدا وعمل قوله عزيز لان نور الرب عظيم مرهوب جدا) وهذا نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشائر عويديا من أنبياء بني اسرائيل) وفي كتابه (قد سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسولا الى الشعوب ثم يتقدم اليه بالحرب أيها الساكن في بحر الكهف ومحله في الموضع الاعلى لان يوم الرب قريب من جميع الشعوب) فهذا مرموز في نبوته

(فصل من بشائر ميخا من أنبياء بني اسرائيل في كتابه) (فاما الآن فستسلم الى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم فيرعاهم) يعني الرب (وبكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم الى من سيعظم سلطانه الى أقطار الارض ويكون على عهده الاسلام)

(فصل من بشائر حبقوق من أنبياء بني اسرائيل) (جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الارض من محامده لان شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعده وتسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الارض وقابل الامم وبحث عنهم فتضعضعت الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وتزعزع سور أرض مدين ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الاثيم ودمغت

رؤس سلاطينه بعضبه) ومعلوم ان محمدا وأحمد ومحمودا صريح فى اسمه وهما يتوجهان الى من انطلق عليه اسم المحمد وهو بالسريانية موشيحا أى محمد ومحمود ولهذا اذا أراد السريانى أن يحمد الله تعالى قال شريحا الاهنا

(فصل من بشائر حزقيال من أنبياء بنى اسرائيل) فى كتابه (ان الذى يظهر من البادية فيكون فيه حتف اليهود كالكرمة أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة وتفرعت منها أغصان مشرفة على أغصان الاكابر والسادات وبسقت فلم تلبث تلك الكرمة ان قلعت بالسخطة وضرب بها على الارض فأخرجت ثمارها وأتت نارا فأكلتها اذ كذلك غرس غرس فى البدو وفى الارض المهملة المعطلة العطشى وخرج من أغصانه الفاضلة نارا فأكلت ثمار تلك حتى لم يبق منها عصا قوية ولا قضيب ينهض بأمر السلطان

(فصل من بشائر يرصفينا من أنبياء بنى اسرائيل) فى كتابه أيها الناس ترجوا اليوم الذى أقوم فيه للشهادة فقد حان أن أظهر حكمى بحشر الامم وجميع الملوك لأصب عليهم سخطى وتكبرى هناك أجدد للامم اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جميعا وليعبدوه فى ربقة واحدة معا وليأتون بالذبائح من مغاراتها تكون) ومعلوم ان اللغة العربية هى المختارة لانها طبقت الارض وانتقلت أكثر اللغات اليها حتى صار ماعداها نادرا

(فصل من بشائر زكريا بن يوحنا من أنبياء بنى اسرائيل) فى كتابه (رجع الملك الذى ينطق على لسانى وأيقظنى كالرجل الذى يستيقظ من نومه وقال لى ما الذى رأيت فقلت منارة من ذهب وكنة على رأسها ورأيت على الكفة سبعة سرج لكل سراج منها سبعة أفواه وفوق الكنة شجرتا زيتون احداهما عن يمين الكفة والاخرى عن يسارها فقلت للملك الذى ينطق على لسانى ما هذه يا سيدى فرد الملك على وقال لى أما تعلم ما هذه فقلت ما أعلم فقال لى هذا قول الرب فى زربابال يعنى محمدا وهو يدعو باسمى وأنا أستجيب له للنصح والتطهير وأصرف عن الارض أنبياء الزور والارواح النجسة لا بقوة ولا بعز ولكن بروحى بقول الرب القوى ويعنى بشجرتى الزيتون الدين والملك وزربابال هو محمد صلى الله تعالى

عليه وسلم

(فصل من بشائر دانيال من أنبياء بنى اسرائيل) فى كتابه (رأيت على سحاب السماء المسمى كهيئة انسان جاء فانتهى الى عتيق الايام وقدموه بين يديه فخوله الملك والسلطان والكرامة أن تعبدله جميع الشعوب والامم واللغات سلطانه دائم الى الابد له يتعبد كل سلطان ويمضى ألفان وثلاثمائة ينقضى عقاب الذنوب يقوم ملك منيع الوجه فى سلطانه عزيز القوة لا تكون عزته تلك بقوة نفسه وينجح فيما يريد ويجوز فى شعب الاطهار ويهلك الاعزاء ويؤتى بالحق الذى لم يزل قبل العالمين) وفى هذا دليل على أمرين أحدهما اصدق الخبر لوجوده على حقه والثانى صحة نبوته لظهور الخبر فى صحته

(فصل من بشائره فى رؤيا بختنصر) وهو ان بختنصر رأى فى السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع منها ونسيها فاحضر من فى ممالكه من الكهنة والمنجمين وكان قد ملك الاقاليم السبعة وسألهم عن الرؤيا وتأويلها فقالوا له اذكرها لنا حتى نذكر تأويلها فالملك فأمر بقتلهم ان لم يذكروها وتأويلها وكان دانيال النبى قد سباه من اليهود فاستمهل فى أمرهم ورغب الى الله تعالى فى اطلاعه على الرؤيا وتأويلها فاطلعه الله تعالى على ذلك فأتى بختنصر وقال أيها الملك انك كانت هؤلاء مالا يعلمه الا الله وقد رغبت اليه فأطلعنى عليه ورؤياك التى رأيتها ان قلبك جاش واختلج بما يحدث بعدك فى آخر الزمان فعرفك مبدى السرائر ما يكون انك أيها الملك رأيت صنما عظيما قائما قبالتك له منظر رائع رأسه من الذهب الابريز وصدره وذراعاه من فضة وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجليه من حديد وبعضها من خزف ورأيت حجرا انقطع من جبل عظيم بغير يد انسان فضرب ذلك الصنم فهشمه حتى صار كالرماد ألوت به ريح عاصف حتى لم يعرف له مكان ثم عظم الحجر الصلد الذى صك الصنم حتى صار جبلا عظيما امتلأت منه الارض كلها فهذه الرؤيا وانا معبرها أما الصنم فهم الملوك فأنت الرأس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك ألين منك فاما المملكة الثالثة التى هى مثل النحاس فتسلط على الارض كلها وأما المملكة الرابعة التى هى مثل الحديد فتكون

عزيزة كما ان الحديد يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق وتغلب الكل وأما الارجل والاصابع التي رأيت لن منها من خزف الفخار ومنها من حديد فان المملكة تكون مختلفة ومتفرقة يكون منها أصل من جوهر الحديد وخلط من خزف الفخار فيكون بعض المملكة قويا وبعضها واهيا كسيرا لا يأتلف بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف وأما الحجر الواقع من الجبل فان إله السماء يرسل مملكة من عنده لانه لم تقطع الحجر يد انسان في زمان هذه الممالك يهلكها ويبقى الى آخر الدهر ولا يكون لامة أخرى مملكة ولا سلطان الا دقه كما يدق الحجر الحديد والنحاس والفضة والذهب فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك في آخر الايام فهذه رؤياك وتأويلها * فخر بختنصر على وجهه ساجدا لدانيال وقال ان إلهكم هذا هو إله الآلهة ورب الاملاك حقا وهو مبدي السرائر وجعل دانيال رأسا مؤمرا على أرض بابل ومعلوم انه لم يرسل الله تعالى سلطانا أزال به الممالك وملأ به الارض ودام له الامر الا بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشائر أرميا بن يرخنا من أنبياء بني اسرائيل في أيام بختنصر) لما قتل أهل الرس نبيهم قال ابن عباس أمر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم عاصيهم وابنيهم فأمره بذلك فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل وسبى حتى انتهى الى تهامة فأتى معد بن عدنان فأمر بقتله فقال له النبي لا تفعل فان في صلب هذا نبيا يبعث في آخر الزمان يختم الله به الانبياء فخلى سبيله وحمله معه حتى أتى حصونا باليمن فهدمها وقتل أهلها وزوج معدا بجمل امرأة منهم في زمانها وخلفه بتهامة حتى نسل بها قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين

(فصل من بشائر داود في الزبور) سبحان الذي هيكله الصالحون يفرح اسرائيل بخالقه وبيوت صيلون من أجل ان الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منه بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من الامم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالاغلال ومعلوم ان سيوف العرب هي

ذوات الشفرتين ومحمد هو المنتقم بهما من الامم * وفيه ان الله أظهر من صيفون اكليلا محمودا وصيفون العرب والاكليل النبوة ومحمود هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم * وفي مزمور آخر منه انه يجوز من بحر الى بحر ومن لدن الانهار الى الانهار الى منقطع الارض وان تخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم وتلحس أعداؤه التراب تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد وتدين له الامم بالطاعة والانقياد لانه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم ذكره الى الابد * ومعلوم انه لم يكن هذا الا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم * وفي مزمور آخر قال داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشر أى ابعث نبيا يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود ان قوما سيدعون في المسيح ما ادعوه وهذا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشائر المسيح به في الانجيل) قال المسيح عليه السلام للحواريين (أنا ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه الا كما يقال له وهو يشهد على وأنتم تشهدون لانكم معى من قبل الناس وكل شئ أعده الله لكم يخبركم به) وفي نقل يوحنا عنه (ان البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيأ ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب * وفي نقل آخر عنه (ان البارقليط روح الحق الذى يرسله باسمى هو يعلمكم كل شئ انى سائل أن يبعث اليكم بارقليط آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شئ) وفي نقل آخر عنه (ان البشير ذاهب والبارقليط بعده يجئ لكم الاسرار ويقيم لكم كل شئ وهو يشهد لى كما شهدت له فانى لاجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل) والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أحمد وأنا محمود وأنا محمد (فهذه من بشائر الانبياء) عن الكتب الالهية المتناصرة بصحة نبوته المتواترة الاخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته ولعل مالم يصل الينا منها أكثر فمنهم من عينه باسمه

ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه الى قومه ومنهم من أضافه الى بلده
ومنهم من خصه بافعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره وقد حقق الله تعالى
جميعها فيه حتى صار جليا بعد الاحتمال ويقينا بعد الارتياب (فان قيل) مجيء
الانبياء موضوع لصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف
وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى فزال عن
حكمهما فى النبوة لمخالفتهما فى السيرة فعنه ثلاثة أجوبة أحدها ان الله تعالى
بعث كل نبي بحسب زمانه فنهم من بعثه بالسيف لان السيف أنجع ومنهم من
بعثه باللطف لان اللطف أنفع كما خالف بين معجزاتهم بحسب أزمانهم * فبعث
موسى بالعصا فى زمان السحر * وبعث عيسى باحياء الموتى فى زمان الطب وبعث
محمدا بالقرآن فى زمان الفصاحة لان الناس فى بدء أمرهم يتعاطفون مع القلة
ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والامل * والجواب
الثانى ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا واللطف اذا كان مع اقرار الباطل
كان شرا لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية والحقوق الدينية ولذلك
جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير وينتفي به الشر لان النفوس الاشرة
لا يكفها الا الرهبة فكان القهر لها أبلغ فى انقيادها من الرغبة وكانت العرب أكثر
الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أنفع
من اللطف * والجواب الثالث أنه لم يكن فى جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا أول
من أثخن فى أعداء الله تعالى * وقبل هذا ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة
الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه
وأتباعه * وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد من
مدنها ما لم يبق له أثر ولا من أهلها صافر من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب
منهم اتاوة وساق الغنائم * وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة
الا قتلهم وهو موجود فى كتبهم * ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدأ بالاستدعاء
وحارب بعد الاباء روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شئ فاذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان أشدهم فى ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن مأثما وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحث الناس على الصفح والتعاطف روى أسيد بن عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك فهل يكون أحنى على الخلق ممن يأمرهم بمثل هذا وانما تطابت الملحدة بمثل هذا الاعتراض القدح فى النبوات فانهم لم يعفوا نبيا من القدح فى معجزاته والطعن على سيرته حتى قال منهم فى عصرنا ما طعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى وسلم عليهم بشعر نظمه فقال

وفالق البحر لم يفلق جوانبه * اذ ضاع فيه ضياع الحرفى السفل
ومدع يدعى الاشياء خالقه * ما باله زال والاشياء لم تزل
وآخر يدعى بالسيف حجته * هل حجة السيف الا حجة البطل

فحضرنى حين وردت هذه الابيات الى بعض أهل العلم فاجاب عنها فقال

قل للذى جاء بالتكذيب للرسل * ورد معجزهم بالزيغ والدغل
وقال فى ذاك أبياتا مزخرفة * ليوقع الناس فى شك من الملل
ضياع موسى دليل من أدلته * من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس أن الله فالقه * وان موسى ضعيف تاه فى السبل
والمعجز الحق فى فلق المياه له * وجعله البر ما يحتاط بالحيل
وابن البتول فان الله نزهه * عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير بقدره * طينا وربى أحياه ولم يزل
وقال انى باذن الله فاعله * واذن ربى يحيى الخلق لا عملى
وصاحب السيف كان السيف حجته * بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتديا بالنصح مجتهدا * بمعجزات لها حارت أولو النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب * فيه من الغيب ما أوحى الى الرسل

فافحم الشعراء المفلقــين به * لما تحــداهم بالرفق فى مهـل
وأنبع المـاء عـذبا من أنامـله * من غيرما صخرة كانت ولا وشل
وشارف القـوم بافاداه وكلمه * وقال انى من قتـلى على وجـل
والذئب قد أخبر الراعى ببعثه * فجاء يشـهد بالاسـلام فى عجل
والجـذع حن اليه حين فارقه * حنـين ذات جؤار ساعة الهبل
وأخبر الناس عمـا فى ضمائرهم * مفصلا بجواب غـير محتمل
ونبأ الروم عن نصر يكون لهـا * من بعد سبعة أعوام على جدل
والفرس أخبرها عن قتل صاحبها * برويزاذ جاءه فيروز فى شغل
وان تقصيت ما جاء النـبى به * طال النشيد ولم آمن من الملل

(الباب السادس عشر فى هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم)

والجن من العـالم الناطق المميز يأكلون ويتناكحون ويتناسـلون ويموتون وأشخاصهم محجوبة عن الابصار وان تميزوا بافعال وآثار الا أن يخص الله تعالى برؤيتهـم من يشاء وانمـا عرفهـم الانس من الكتب الالهيـة وما تخيلوه من آثارهم الخفيـة قال الله تعالى فيما وصفه من انشاء الخلق ولقـد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقنـاه من قبل من نار السموم يريد بقوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال آدم أبا البشر عليه السلام وفى الصلصال وجهان أحـدهما انه الطين اليابس والثانى انه الطين الذى لم تسمه النـار والحمأ جمع حمأة وفيها وجهان أحـدهما انه المنصوب القائم فيكون صـفة للانسان والثـانى انه المنسوب فيكون تمييزا للجنس وقوله والجان خلقناه من قبل يعنى من قبـل آدم لان آدم خلق آخر الخلق وفى الجان وجهان أحـدهما انه ابليس والثانى انه أبو الجن فآدم أبو البشر والجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفى قوله من نار السموم وجهان أحـدهما من نار الشمس والثانى نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها فلم يختلفوا فى ان الجن يتناسـلون ويموتون ومنهم مؤمن ومنهـم كافر واختلف فى الشياطين فزعم قوم انهم كفار الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غـير الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال بهـذا فى تناسـلهم

وموتهم فذهب فريق الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون الى انهم كابليس لا يموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون فان أنكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية فهم تهم براهين العقول وحجج القياس لان الله تعالى أنشأ خلق العالم من أربعة اجرام جعلها أصولا لما خلق من العالم الحى وهى الارض والماء والهواء والنار والعالم نوعان اتفاقا علوى وسفلى فالعالم السفلى نوعان خلقهما من جرمين أحدهما من الارض وهو ماعليها من الحيوان والثانى من الماء وهو مافيه من السموك وهما هابطان لهبوط الارض والماء وظاهران لظهور أصلهما واستمر القياس فيهما * وبقى العالم العلوى جرمان الهواء والنار وقد استقر خلق الملائكة من الهواء فاقتضى معقول القياس أن يكون خلق الجن من النار لتكون الاجرام الاربعة أصولا لخلق أجناس أربعة ولعلو الهواء كان عالمه من الملائكة علويا ولخفائه كان خفيا لا يهبط الا عن أمر الهى ولا يعاين الا بمعونة الهية ولعلو النار فى أصل هابط كان لعالمه من الجن علو وهبوط ولخفاء كونها خفى عالمها عن العيان الا بمعونة الهية فصار أصلان من الاربعة محسوسين بالعيان وهما الارض وفى الماء واصلان معقولين بالقياس وهما الملائكة والجن ولولا ان دافع ذلك عادل عن الدلائل الشرعية لما عدلنا عنها الى هذا الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية

(فصل) فاذا ثبت خلق الجن بمادللنا عليه من شرع ومعقول فهم مكلفون لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحداهم بالقرآن بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وفى صرفهم وجهان * أحدهما أنهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يصرفوا عنه بعد عيسى الا بعد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ما هذا الحادث فى السماء الا لحادث فى الارض وتخيلوا به تجديد النبوة فجابوا الارض حتى وقفوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن مكة عامدا الى عكاظ وهو يصلى

الفجر فاستمعوا القرآن ورأوه كيف يصلي و يقتدي به أصحابه فعلموا أنه لهذا الحادث صرفوا عن استراق السمع برجوم الشهب وهذا قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه * وحكى عكرمة ان السورة التي كان يقرؤها اقرأ باسم ربك الذي خلق والوجه الثاني أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هداية من الله تعالى حتى أتوا نبي الله ببطن نخلة فنزل عليه جبريل بهذه الآية وأخبره بوفود الجن وأمره بالخروج اليهم فخرج ومعه ابن مسعود حتى جاء الحجون عند شعب أبي ذر قال ابن مسعود فخط علي خطا وقال لا تجاوزه ومضى الى الحجون فانحدر واعليه أمثال الحجل حتى لم أره فعلى الوجه الاول لم يعلم بهم حتى أتوه وعلى الوجه الثاني أعلمه جبريل قبل اتيانهم واختلف أهل العلم في رؤيته لهم وقراءته عليهم فحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما استمعوا قراءته حين مروا به مصليا * وحكى عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم القرآن وفي قوله فلما حضروه قالوا أنصتوا وجهان أحدهما فلما حضروا قراءته القرآن قالوا أنصتوا لسماعه والوجه الثاني فلما حضروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا أنصتوا السماع قوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين وفيه وجهان أحدهما فلما فرغ من الصلاة ولوا الى قومهم منذرين به والثاني لما فرغ من قراءته القرآن ولوا الى قومهم منذرين وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم انا سمعنا قرآنا عجبا في فصاحته و بلاغته والثاني عجبا في حسن مواعظه * وفي قوله يهدي الى الرشد فآمنا به وجهان أحدهما الى مراشد الامور والثاني الى معرفة الله تعالى فثبت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان عام الرسالة الى الانس والجن فلم يختلف أهل العلم انه يجوز أن يبعث اليهم رسولا من الانس واختلفوا في جواز بعثة رسول منهم فجوزه قوم لقول الله تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ومنع آخرون منه وهذا قول من جعلهم من ولد ابليس وحملوا قوله ألم يأتكم رسل منكم على الذين لما سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين فاما كفارهم فيدخلون النار وأما مؤمنوهم فقد اختلفوا في دخولهم الجنة ثوابا على ايمانهم فقال الضحاك ومن جوز أن يكون رسلهم منهم يدخلون الجنة وحكى سفيان عن ليث انهم

يثابون

يثابون على الايمان بان يجاز واعلى النار خلاصا منها ثم يقال لهم كونوا ترابا كالبهائم * فاما استراقهم للسمع فقد كانوا فى الجاهلية قبل بعث الرسول يسترقونه ولذلك كانت الكهانة فى الانس لالقاء الجن اليهم ما استرقوه من السمع فى مقاعد كانت لهم يقربون فيها من السماء كما قال الله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء فيلقونها الى الكهنة فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا يعنى بالشهب الكواكب المحرقة وبالرصد الملائكة فاما استراقهم للسمع بعد بعث الرسول فقد اختلف فيه أهل العلم على قولين أحدهما أنه زال استراقهم للسمع ولذلك زالت الكهانة والثانى ان استراقهم باق بعد بعث الرسول وكان قبل الرسول لا تأخذهم الشهب لقول الله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والذى يستمعونه أخبار الارض دون الوحى لان الله تعالى قد حفظ وحيه منهم لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واختلف على هذا فى أخذ الشهب لهم هل يكون قبل استراقهم للسمع أو بعده فذهب بعض أهل العلم الى ان الشهب تأخذهم قبل استراق السمع حتى لا يصل اليهم لانقطاع الكهانة بهم وتكون الشهب منعا عن استراقه * وذهب آخرون منهم الى ان الشهب تأخذهم بعد استراقه وتكون الشهب عقابا على استراقه * وفيها اذا أخذتهم قولان أحدهما انها تقتلهم ولذلك انقطعت الكهانة بهم والثانى انها تجرح وتحرق ولا تقتل ولذلك عاد والاستراقه بعد الاحتراق ولولا بقاؤهم لانقطع الاستراق بعد الاحتراق ويكون ما يلقونه من السمع الى الجن دون الانس لانقطاع الكهانة عن الانس وفى الشهاب الذى يأخذهم قولان أحدهما انه نور يمتد لشدة ضيائه ثم يعود والقول الثانى انه نار تحرقهم ولا تعود فهذا خطب الجن فيما هم عليه من نعت وحكم

(فصل) فاما هتوفهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من آيات نبوته فان كان قبل مبعثه كان من نذر آياته الصادرة عن الهام فمن هتوفهم بنبوته ما حكاه ابراهيم بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يحدث عن رجل من خثعم قال كانت خثعم لا تحل حلالا ولا

تحرم حراما وكانت تعبد أصناما فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه فى أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح يقول

يا أيها الركب ذوو الاحكام * ما أنتم وطائش الاحلام

ومسند والحكم الى الاصنام

هذا نبى سيد الأنام * يصدع بالحق وبالاسلام

أعدل ذى حكم من الاحكام

ويتبع النور على الاظلام * سيبعثان فى البلد الحرام

قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمى ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ومن بشائر﴾ هتوفهم ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين قال ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رئى من الجن فأرسل اليه عمر فقال أنت سواد بن قارب قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أنت الذى أتاك رئيك بظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتانى رئى من الجن فضرب بى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها

فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كاذنابها

فقلت له دعنى فانى أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضرب بى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للجن وتجساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

قال فأصبحت وقد امتحن الله تعالى قلبى للاسلام فرحلت ناقتى وأتيت المدينة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فقلت اسمع مقالى يا رسول الله قال هات فأنشأت

أتانى نجى بين هدو ورقدة * ولم أك فيما قد نجوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا شئ غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى روى الفرح فى وجوههم قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث فهل يأتيك رئيك اليوم فقال مذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن ﴿ومن بشائر هتوفهم﴾ ما رواه ابراهيم بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب حدث يوما فى مجلس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خرجنا قبل مظهر النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم بشهرين الى الابطح بمكة معنا عجل نريد ذبحه ونحن نفر فلما ذبحناه وتصابّ دمه ومات اذ صاح من جوفه صائح يقول ياذريح صائح يصيح بصوت فصيح نبي يظهر الحق يفيح يقول لا إله الا الله فصاح كذلك ثلاث مرات ثم هدأ صوته وتنزفناورعبنامنه فلم يلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان ظهر فقال رجل من القوم لا تعجب يا أمير المؤمنين خرجت وأصحاب لي في تجارة لنا ونحن أربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا ببعض أودية الشام قرمنا الى اللحم قرما شديدا قبل مظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا بظبية قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل بها حتى أخذناها قال فوالله انا لنتآمر بذبحها اذ هتف هاتف فقال

يا أيها الركب السراع الاربعه * خلوا سبيل الظبية المروّعه

فانها طفلة ذات دعه * خلوا عن العضبان فقد امي سعه

ثم قال خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادي وما يتر فيه أقل من خمسين رجلا حتى كنتم به قال فأرسلناها فلما أمسينا أخذ بازمة رواحلنا حتى أتى بنا الى حاضر لجب كثير الاهل فأطعمنا من الثريد ما أذهب قرمنا ثم خرجنا حتى قضى الله تجارتنا فصحبنا رجل من يهود فلما كنا بذلك الوادي هتف هاتف فقال

اياك لا تعجل وخذها موبقه * فان شر السير سير الحقحقه

قد لاح نجم فاستوى في مشرقه * يكشف عن ظلماء بوس موبقه

يدعو الى ظل جنان مونقه

فقال اليهودي تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا ما يقول قال يخبر أن نبيا قد ظهر خلافكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة * ومن بشائر هتوفهم * ماحكاه أبو عيسى قال سمعت قريش في الليل هاتفا على أبي قبيس يقول فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف مخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول

أيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا * على الله فى الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى * جنان من الفردوس ذات زخارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان هما والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة * ومن بشائر هتوفهم * ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أسماء بنت أبى بكر قالت ما علم المشركون من أهل مكة أين توجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك بأيام فقال

جزى الله خيرا والجزاء فريضة * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما دخلاها بالهدى واهتدى به * فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب محل فتاتهم * ومقعدها للمسلمين بمرصد

وقالت أسماء ما علم المشركون من أهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يشمرون بمكة فقال

ازال الحنيفيون بدرا بوقعة * سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أصاب رجالا من لؤى وجردت * حرائر يضربن الترائب حسرا
ألا ويح من أمسى عدو محمد * لقد ذاق خزنا فى الحياة وحسرا
وأصبح فى هامى العجاج معفرا * تناوبه الطير الجياع وتنفرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف أخبار آحاد عمن لا يرى شخصه ولا يحج قوله فخروجه عن العادة نذير وتأثيره فى النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها ويؤكد حجتها (فان قيل) ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز أن تكون دليلا على صحة الكهانة فعنه جوابان أحدهما ان دلائل النبوة غيرها وانما هى من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة اخبارا والثانى ان الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم والغائب موهوم

(الباب السابع عشر فيما هجست به النفوس من إلهام العقول بنبوته عليه السلام)

العقل إلهى ركبه الله تعالى فى النفوس الناطقة فهو ينذر بالخواص الكائنة

حدسا ويعلم بعد الوجود حسا فقل حادث الا تقدم نذيره وبحسب خاطره يكون تأثيره ولا حادث أعظم مما جدده الله تعالى بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتضى أن يكون بشائر نبوته أشهر وشواهد آياته أظهر (فمن الهواجس بنبوته) ان كعب بن لؤي بن غالب كان يجتمع اليه الناس فى كل جمعة وكان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه الناس ويقول بعد خطبته حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج به نبى كريم والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصبت تنصب الخيل ولا رقلت ارقال الفحل ثم يقول

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

(ومن هواجس الالهام) ما حكاه ابن قتيبة ان أبا كريب بن أسعد الحميرى آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

(ومن هواجس الالهام) ما حكاه عبيد الجرهمى وكان كبير السن عالما بأخبار الامم أن تبعا الاصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سائر بيثرب فنزل فى سفح أحد وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلا صبرا وأراد خرابها فقام اليه رجل من اليهود كبير السن فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ولا يقبل قول الزور أمرك أعظم من أن يطير بك برق أو تسرع بك لجاج فانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية قال ولم قال لانها مهاجر نبى من ولد اسمعيل يخرج من هذه الثنية يعنى البيت الحرام فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة آلاف جزور وأطعم الناس وقال

قد كسونا البيت الذى حرم الله * ملاء معضدا وبرودا

وقيل انه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة (ومن هواجس الالهام) ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر مجلس قريش فقال يا معاشر قريش

هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلم قال الله أكبر أما اذ أخطأكم فلا بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد فى هذه الليلة نبى بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنها عرف وثن فتصارع القوم عن مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودى فأخبروه فقال اذهبوا بى حتى أنظر اليه فادخلوه على آمنة وقالوا أخرجى الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى اليهودى تلك الشامة فوقع مغشيا عليه فلما أفاق قالوا له مالك قال ذهبت والله النبوّة من بنى اسرائيل يا معشر قريش والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وكان فى القوم الذين أخبرهم اليهودى بذلك هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة فعصمه الله تعالى منهم (ومثله) انه كان لقريش فى الجاهلية عيد يجتمع فيه النساء دون الرجال فاجتمعوا فيه فوقف عليهن يهودى وفيهن خديجة فقال لهن يا معشر نساء قريش يوشك أن يبعث فيكن نبى فايتكن استطاعت أن تكون له أرضا فلتفعل فحصبنه ووقر ذلك فى نفس خديجة حتى حققه الله لها فكانت أوّل من آمن به (ومثله) ان جماعة من النصارى قدموا من الشام تجارا الى مكة فنزلوا بين الصفا والمروة فرأوه وهو ابن سبع سنين فعرفه بعضهم بصفته فى كتبهم وسمته فى فراستهم فقال له من أنت وابن من أنت فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له من رب هذه وأشار الى الجبال فقال الله ربها لا شريك له فقال له من رب هذه وأشار الى السماء فقال الله ربها لا شريك له فقال له النصرانى فهل له رب غيره فقال لا تشككنى فى الله ماله شريك ولا ضد فقام بالتوحيد فى صغره وفصح النصرانى بخبره وأنذر بنبوّته (ومثله) انه كان فى كفالة جده عبد المطلب وكان أحب اليه من جميع أولاده فلما حضرته الوفاة وصى به الى عمه أبى طالب لانه كان أخا عبد الله لابيه وأمه وأنشأ يقول

وصيت من كنيته بطالب * عبد مناف وهو ذو تجارب

يا ابن الحبيب أكرم الاقارب * يا ابن الذى مذ غاب غير آيب

فتقبل أبو طالب الوصية وكان قد سمع من راهب انذارا فأنشأ يقول

لا توصين بلازم وواجب * فلست بالآيس غير الراغب
بان محمد الله قول الراهب * انى سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب

ومات عبد المطلب بعد ثمان سنين من مولده فتكفله عمه أبو طالب وخرج به الى الشام فى تجارة له وهو ابن تسع سنين فنزل تحت صومعة بالشام عند بصرى وكان فى الصومعة راهب يقال له بحيرا قرأ كتب أهل الكتاب وعرف ما فيها من الانباء والامارات فرأى بحيرا من صومعته غمامة قد أظلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشمس فنزل اليه وجعل يتفقد جسده حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه وسأله عن حاله فى منامه ويقظته فأخبره بها فوافقت ما عنده فى الكتب وسأل أبا طالب عنه فقال ابنى فقال كلا فقال ابن أخى مات أبوه وهو حمل قال صدقت وعمل لهم ولمن معهم طعاما لم يكن يعمله لهم من قبل وقال احفظوا هذا من اليهود والنصارى فانه سيد العالمين وسيبعث نبيا اليهم أجمعين وان عرفوه معكم قتلوه فقالوا كيف عرفت هذا قال السحابة التى أظلته ورأيت خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة على النعت المذكور ورأيت المدر والشجر يسجدان له ولا يسجدان الا لنبى وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى رعيه الابل قد سبقه القوم الى ظل شجرة فلما جلس مال ظل الشجرة عليه فقال لهم هذا من آيات نبوته وان الروم ان رأوه عرفوه بصفته فقتلوه ثم التفت فاذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم وقال ما جاء بكم قالوا جئنا لان هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث فيه ناس ونحن آخر من بعث الى طريقك هذا فقال لهم هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم قالوا لا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فارجعوا فتابعوه على الرجوع وزودهم الراهب حتى أسرع به أبو طالب فكانت هذه البشائر من رهبان النصارى وما تقدم من أخبار اليهود وقد تواردا عليها بجميعهم مع اختلاف معتقدهم وتغاير كتبهم من أوائل الشهود على تعيين النبوة فيه اماعن

كتب نعت فيها فاصابوه على النعت فكان انذار الهيا تواردت عليه الخواطر لان ماهجست به النفوس من أمر كان وماتخيلته العقول ظهر وبان لان القلوب طلائع الاقدار والعقول مرايا الاسرار (ومن هواجس الالهام) ماحدثنا أبو الحسن محمد بن على بن مخلد رحمه الله قال حدثنا عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر ابن محمد بن بحير السمرقندى قال حدثنا أحمد بن عبد ربه الضبى قال أخبرنا عبد الرحمن بن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال حدثنى أحمد بن القاسم عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رحمة الله عليه قال لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنين أتى وفود العرب وأشرافها وشعراؤها التهنئته ومدحه وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد بن عبد العزى فى ناس من أشراف قريش فلما قدموا عليه اذا هو فى رأس قصر يقال له غمدان وهو الذى يقول فيه أمية بن أبى الصلت

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دار منك محلال

قال فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك مضمخ بالعنبر يرى وبيص الطيب من مفرقه عليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول قال فدنا عبد المطلب واستأذن فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فتكلم فقد أذنا لك فقال عبد المطلب ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه فى أكرم موطن وأطيب معدن وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذى يخصب به وأنت أيها الملك رأس العرب الذى اليه تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية فقال ابن ذى يزن فأيهم أنت أيها المتكلم فقال أنا عبد

المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم ابن أختكم قال ادن فأدناه على القوم
وعليه فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطى
عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم أهل
الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى
دار الضيافة والوفود فأقاموا اشهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف قال
ثم انتبه انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه وقال يا عبد المطلب
انى مفوض اليك من سرّ علمى ما لو كان غيرك لم أبح له ولكن رأيتك معدنه
وأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ فيه أمره
انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لانفسنا واحتجبناه
دون غيره خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس
عامّة ولرهطك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب أيها الملك فمثلك من سرّ وبر
فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة
كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أبيت
اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته
من بشارته اياى ما ازداد به سرورا قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أو قد
ولد اسمه أحمد يموت أبوه وأمّه ويكفله جدّه وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه
جهارا وجاعل منا له أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم
الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران
ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف
ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال عبد المطلب أيها الملك عز جدك وعلا
عقبك وطاب ملكك وطال عمرك فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعض
الايضاح فقال ابن ذى يزن والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب انك
يا عبد المطلب لجده غير الكذب قال فخرّ عبد المطلب ساجدا فقال ابن ذى يزن
ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيأ مما ذكرت لك فقال
نعم أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا رفيقا أو رقيقا فزوّجته كريمة من كرائم

قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فأتت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كلما ذكرت من علامة قال ابن ذي يزن ان الذي قلت لك لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا فاطو ماذكرته دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن أن يداخلهم النفاسة من أن تكون لك الرياسة فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا اني أعلم ان الموت يجتاحني قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا اني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه ذكره وأوطيت أسنان العرب عقبه ولكني صارف ذلك اليك بغير تقصير ممن معك ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة عنبرا ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له اذا حال الحول فائتني بأمره وما يكون من خبره قال فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول قال فكان عبد المطلب كثيرا يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كان كثيرا فانه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره وشرفه فاذا قيل له وماذاك قال ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين ﴿ومن هواجس الالهام﴾ انه نشأ في قريش على أحسن هدى وطريقة وأشرف خلق وطبيعة وأصدق لسان ولهجة حتى سمته قريش في حداثته الامين تأسيسا لما سيكون ﴿وكانت خديجة بنت خويلد ذات شرف ويسار وكان لها متاجر ومضاربات فلما عرفت أمانة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق لهجته أبضعته مالا يتجر به الى الشام مضاربا وأنفذت معه مولاها ميسرة ليخدمه في طريقه فنزل ذات يوم تحت صومعة راهب فرأى الراهب من ظهور كرامة الله تعالى له ما علم انه لا يكون الا لنبي فقال لميسرة من هذا فقال رجل من قريش من أهل الحرم

فقال انه نبي فكان ميسرة يراه اذا ركب تظله غمامة تقيه حر الشمس فلما قدم
على خديجة قص ميسرة عليها حديث الراهب وماشاهده من ظل الغمامة
وما تضاعف من ربح التجارة فتنبهت به على عظم شأنه وشواهد برهانه فرغبت
خديجة فى نكاحه وكان قد خطبها أشراف قريش فامتنعت وسفر بينهما فى
النكاح ميسرة وقيل مولاه بولده وخافت امتناع أبيها عليه فعقرت له ذبيحة
وألبسته حبرة وغلفته بطيب وعبير وسقته خمرا حتى سكر وحضر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب واختلف فى حضور عمه
أبى طالب فقال الاكثرون حضر مع حمزة وخطبها من أبيها فأجابه وزوجه وهو
ابن خمسة وعشرين سنة وخديجة ابنة أربعين سنة ودخل بها من ليلته فلما أصبح
خويلد وصار رأى آثار ما عليه فقال ما هذا العقير والعبير والحبر فقيل زوجت
خديجة بمحمد قال ما فعلت قيل له قبيح بك هذا وقد دخل بها فرضى ولاجل ذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع الى نكاح نشوان الا أجزته وقامت خديجة
رضى الله تعالى عنها بأمره حتى كفته أمور دنياه فكان ذلك عونا من الله تعالى
ولطفا تفضل به عليه منا واسعافا ﴿ومن هواجس الالهام﴾ ما حكاه عامر بن ربيعة
قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول أنا أنتظر نبيا من ولد اسمعيل من بنى عبد
المطلب ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد انه نبى فان طالت بك مدة
فرأيته فاقرأه منى السلام وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو
رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس يفارق عينيه
حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ثم يخرجه قومه منها
ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره فاياك أن تخدع عنه فانى
طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من أسأله عنه من اليهود والنصارى
والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك ويقولون لم يبق
نبى غيره قال عامر فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول
زيد واقرأته منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته فى الجنة
يسحب الذيول ﴿ومن هواجس الالهام﴾ ما رواه الزهرى عن أبى سلمة بن عبد

الرحمن بن عوف قال بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو فى بيت ايوانه الذى
لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا به قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة من ساعته
التى كان يتقيل فيها فقال يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا فقال بهل بهل
فانصرف عنه فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم فقال من أدخل هذا الرجل فقالوا
مادخل عليك أحد ولا رأيناه حتى إذا كان العام القابل أتاه فى الساعة التى أتاه
فيها فقال له كما قال ثم قال أتسلم أو أكسر هذه العصا فقال بهل بهل بهل ثلاثا
فخرج عنه فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ وقال لهم كما قال لهم أول مرة فقالوا
ما رأينا أحدا دخل عليك حتى اذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى أتاه
فيها فقال له كما قال ثم قال أتسلم أو أكسر هذه العصا فقال بهل بهل فكسرها ثم
خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه ﴿ومن
هواجس المنام﴾ ماحكاه ابن قتيبة ان كسرى ابرويز بن هرمز كان سائرا ذات يوم
فهوم على مركبه وطال حتى استغفل فايقظه بعض قواده فانتبه مذعورا والرؤيا
رآها فقطعها عليه الموقظ له فقال رأيت قائلا لى انكم غيرتم فغيرنا كم وقل الملك
الى أحمد وقيل له سلم ما بيدك الى صاحب الهراوة الى أن ورد عليه كتاب النعمان
ابن المنذر يخبر فيه ان خارجا نجم بتهامة يخبر أنه رسول الله إله السماء والارض الى
أهل الارض كافة فارتاع لذلك وأكبره وعلم أنه الذى رآه فى منامه وكان يتوقعه
(ومن هواجس المنام) ما رواه عروة بن مضرس عن مخرمة بن نوفل عن أمه رقية
بنت أبى صيفى بن هاشم قال تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت
العظم فبينا أنا نائمة للهم أو مهمومة إذا هاتف يصرخ بصوت صحل يقول
يامعشر قريش ان هذا النبى المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه
فحى هلا بالحياء والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما أبيض بضا
أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة يهدى اليه
فليخلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا
من الطيب ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤم القوم
فغثتم ما شئتم فأصبحت علم الله تعالى مذعورة قد اقشعر جلدى ووله عقلى

واقتصصت رؤياي فوالحرمة والحرم مابقي بها أبطحي الا قال هذا شيبة الحمد يعنون عبد المطلب فتتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل فسنوا ومسوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهله حتى استووا بذروة الجبل فقام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلام حين أيفع أو كرب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت معلم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم أذهبت الخف والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغدقا فما ريما فوالكعبة ماراحوا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بثجيجه فسمعت شيخين من قريش وأجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيأ لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك يقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل * سحا فعاشت به الانعام والشجر
مبارك الامر يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

﴿ومن هواجس الانذار والالهام﴾ والمنام ما رواه أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأتت له مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو بعث ارتجس ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغارت بحيرة ساوة فافزع ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ومرازبته وأخبرهم برؤياه فقال الموبذان وأنا أصلح الله تعالى الملك قد رأيت في هذه الليلة ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادنا فقال أي شيء هذا يا موبذان فقال حادثة تكون من ناحية العرب فكتب الى النعمان بن المنذر أن ابعث الي برجل عالم أسأله عما أريد فوجه اليه عبد المسيح ابن عمرو بن نفيلة الغساني فلما قدم عليه أخبره فقال أيها الملك علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما أخبرتك به ثم أتني بجوابه فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيح وقد أشفى على الموت ووضع على

شفير قبره فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * يا فاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحى من آل سنن * وأمه من آل ذئب بن حجن
أبيض فضفاض الردى ضخم البدن * رسول قيل العجم يسرى للوسن

فرفع سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح وافى الى سطيح وقد أوفى به الى الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث من تهامة صاحب الهراوة وفاض وادى السماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح فسار عبد المسيح على راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضى الهم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بنى ساسان أفرطهم * فان ذا الدهر أطوار دهارير
فربما أصبحوا يوما بمنزلة * تهاب صولهم الاسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمهجور ومحقور
وهم بنو الام الاان رأوا نسبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره قال كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور فملك منهم عشرة ملوك أربع سنين وزال ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتى عشرة سنة (فان قيل) فهذا قول كاهن قد أبطلته النبوة فلم يقبل قوله فى اثبات النبوة فعنه جوابان أحدهما انه تأويل رؤيا تحققت خرج بها عن حكم الكهانة والثانى انه علمها بنقل الجن كهتوف الجن كما قال الله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فاذا استمر ما اختلفت طرقه وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر وعن الآحاد الى التواتر فصار الظن معلوما

والتوهم محتوما

﴿الباب الثامن عشر في مبادي نسبه وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم﴾

لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من أكرم العناصر وأمدهم بأوكد الاواصر حفظا لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون النفوس لهم أوطا والقلوب لهم أصفى فيكون الناس الى اجابتهم أسرع ولاوامرهم أطوع ولما تفرع الملك عن ابراهيم واختصت النبوة بولده انحازت الى ولد اسحق دون اسمعيل فصارت في بني اسرائيل لكثرتهم بعد القلة وقوتهم بعد الذلة فبدأت النبوة بموسى واختتمت بعيسى ولما كثر ولد اسمعيل وانتشروا في الارض تميز بعد الكثرة ولد قحطان عن ولد عدنان واستولت قحطان على الملك انحازت النبوة الى ولد عدنان فاول من أسس لهم مجدا وشيد لهم ذكرا معد بن عدنان حين اصطفاه بخت نصر وقد ملك أقاليم الارض وكان قد هم بقتله حين غزا بلاد العرب فانذره نبي كان في وقته بان النبوة في ولده فاستبقاه وأكرمه ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية وأمر مطاع وفيه يقول مهلهل الشاعر

غنيت دارنا تهامة بالامس * وفيها بنو معد حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم عند ملوك الفرس واجتباه تستشف ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك مالك يانزار وتفسيره في لغتهم يامهزول فغلب عليه هذا الاسم فسمي نزارا وفيه يقول قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

جديسا خلفناه وطسما بارضه * فاكرم بنا عند الفخار فخارا

فنحن بنو عدنان خلدان جدنا * فسماه تستشف الهمام نزارا

فسمي نزارا بعد ما كان اسمه * لدى العرب خلدان بنوه خيارا

وكان لنزار أربعة أولاد مضر وربيعة واياد وانمار فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال يابني هذه القبة الحمراء وما أشبهها لمضر وهذا الخباء الاسود وما أشبهه لربيعة وهذه الخادمة وما أشبهها لاياد وهذه الندوة والمجلس وما أشبهه لانمار فان

أشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالافعى الجرهمى بنجران فاختلفوا فى القسمة
فتوجهوا اليه فبينما هم يسيرون اذ رأى مضر كلأً قد رعى فقال ان البعير الذى
رعى هذا الكلأ لاعور وقال ربيعة هو أزور وقال اياد هو أبتر وقال أغمار
هو شرود فلم يسيروا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير
فقال مضر هو أعور قال نعم وقال ربيعة هو أزور قال نعم وقال اياد هو أبتر قال
نعم وقال اغمار هو شرود قال نعم وهذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه فقالوا والله
ما رأيناه قال قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى نجران حتى نزلوا
بالافعى الجرهمى فناداه صاحب البعير هؤلاء أصحاب بعيرى وصفوه لى بصفته
وقالوا لم نره فقال لهم الافعى الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته
يرعى جانبا و يترك جانبا فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر
والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه أزور وقال اياد رأيت بعره مجتمعا فعرفت انه أبتر
وقال اغمار رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوزه الى غيره فعرفت انه شرود فقال
الجرهمى لصاحب البعير ليسوا أصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم ثم سألهم من
هم فأخبروه انهم بنو نزار بن معد فقال أتحتاجون الىّ وأنتم كما أرى فدعا لهم
بطعام فأكلوا وأكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود
لولا انها نبتت على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا انه ربى بلبن كلبة
وقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا انه يدعى لغير أبيه وقال اغمار لم أر كاليوم كلاما
أنفع فى حاجتنا وسمع الجرهمى الكلام فتعجب لقولهم وأتى أمه فسألها فاخبرته
انها كانت تحت ملك لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها
كان نزل به فوطئها فحملت منه به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمة غرستها
على قبر أبيك وسأل الراعى عن اللحم فقال شاة أرضعتها بلبن كلبة لان الشاة حين
ولدت ماتت ولم يكن ولد فى الغنم شاة غيرها فقيل لمضر من أين عرفت الخمر
ونباتها على قبر قال لانه أصابنى عليها عطش شديد وقيل لربيعة من أين عرفت
ان الشاة ارتضعت على لبن كلبة قال لانى شممت منه رائحة الكلب وقيل لاياد
من أين عرفت ان الرجل يدعى لغير أبيه قال لانى رأيته يتكلف ما يعمله ثم أتاهم

الجرهمي وقال صفوا الى صفتكم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم نزار فقضى لمضر بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهي حمر فسمي مضر الحمراء وقضى لربيعة بالخباء الاسود والخيل الدهم فسمي ربيعة الفرس وقضى لاياد بالخادمة الشمطاء والماشية البلق وقضى لانمار بالارض والدراهم وهذا الذي ظهر في أولاد نزار من قوة الذكاء وحدة الفطنة تأسيسا لتميزهم بالفضل واختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم ثم تفرقت القبائل منهم فاختص ولد مضر بن نزار بالحرم فتميزوا بأنسابهم وتناصروا بسيوفهم حتى استولت قريش على الحرم بعد جرهم وخزاعة لان جرهم كانوا جبابرة فبغوا وتجبروا حتى بعث الله تعالى عليهم الرعاف والنمل فأفناهم وأفضى أمرهم الى عامر بن الحرث وهم القائلون

وادحرام طيره ووحشه * نحن ولاته فلا نغشه

فاجتمعت خزاعة ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة على عامر بن ربيعة وبقية جرهم فاخرجوهم من الحرم واستولت عليه خزاعة وولي البيت عمرو بن ربيعة فقال نحن ولينا البيت بعد جرهم * نعمره من كل باغ ملحد

ولما انحاز عامر بن الحرث مع بقية جرهم عن الحرم عند استيلاء خزاعة عليه خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طرف وهم تلادك

فلم تقبل توبته فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ودفنها وخرج ببقية جرهم وهو يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والدهور الغوابر

فلما رأى عامر بن الحرث الجرهمي ما صار واليه بعد الكثرة والقوة قال

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

كنا اناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فانتم كما كنا تكونونا

حثوا المطي وارخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا

فوليت خزاعة البيت والحرم غير أنه كان في مضر من أمره ثلاث خلال احداهن

الدفع من عرفة الى المزدلفة كان الى الغوث بن بز مر وهو صوفه الثانية الافاضة من
مزدلفة الى منى للنحر كان لزيد بن عدوان وآخر من أفضى اليه أبو سيارة والثالثة
النسيء للشهور والحج كان للمتلمس من بني كنانة وآخر من أفضى اليه حتى جاء
الاسلام ثمامة بن عوف فشركت مضر خزاعة في معالم الحج وان كانت زعامة
الحرم لخزاعة وقريش في اوزاع بني كنانة من مضر وأفضت معالم الحج من
اوزاع مضر الى قريش فولاها منهم كعب بن لؤي بن غالب وكان يجمع الناس في
كل يوم جمعة ويخطب فيه على قريش فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويقول حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وهو
أول من فصح بالنبوة حين شاهد آثارها وعرف أسرارها من انقياد العرب
اليهم تدينا بحرمهم واعظاما لكعبتهم وكان ذلك إلهاما هجست به نفسه وتخيلا
صدق فيه حدسه لان لكل خطب نذيرا ولكل مستقبل بشيرا وانتهضت
خزاعة في الحرم الى خليل بن الحبشية الخزاعي فكان يلي الكعبة وأمر مكة
فتزوج اليه قصي بن كلاب فاشتد به قصي وكان اسمه زيد فلما هلك خليل رأى
قصي انه أولى بالولاية على الكعبة وأمر مكة من خزاعة فاستولى عليها * واختلف
في سبب استيلائه فقال قوم لان خليلا أوصى اليه بذلك وقال آخرون بل اشتراه
من آل خليل بزق من خمر وقال آخرون بل استنصر على خزاعة باخيه لامه رزاح
ابن ربيعة القضاعي حتى أجلى خزاعة عن مكة فخلصت الرياسة لقصي فجمع قريشا
وهم في أوزاع بني كنانة فمنعت بنو كنانة منهم فحاربهم بمن أطاعه حتى أفردهم
منهم وجمعهم بمكة فسمي مجمعا وفيه يقول شاعرهم

أبونا قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا أنزلهم بطحاء مكة في الشعاب ورؤس الجبال وقسمها بينهم أرباعا بين
قومه وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها وكانت اليه
الحجابة والسقاية والوفادة والندوة واللواء وصارت سنته في قريش كالدين الذي
لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد لولاية وجدد بناء الكعبة وهو أول
من بناها بعد ابراهيم واسمعيل وبنى دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور

وهي أول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في جبالها ثم بنى القوم دورهم بها فتمهدت لهم الرياسة وظهرت فيهم السياسة فصار وابها زعماء عبادة أنذرت بطاعة إلهية وديانة نبوية توطئة لما جدده الله تعالى منها برسوله وتأسيسا لمباديها فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم وتكفلوا بالحج فصار وادياني العرب وولاة الحرم وقادة الحجيج فدانت لهم العرب وتقدموا فيهم بالشرف لحلولهم في الحرم وتكفلهم بالكعبة ثم قيامهم بالحج فشاع ذلك في الامم فحكى قوم من دياني العرب ان جماعة من ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة وعظموها وحملوا اليها صنوف الثياب وأنواع الطيب وزمزموا من معهم من الفرس عند بئر زمزم فلذلك سميت زمزم واستشهد قائل هذا بقول الشاعر

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك في سالفة الاقدم

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وقيل بل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن نسبهم الى النضر فلانه تفرقت قبائل بني كنانة وقيل كان يسمى قريشا. ومن نسبهم الى فهر فلان فهرا في زمانه كان رئيس الناس بمكة وقصدها حسان بن عبد كلال في حمير وقبائل اليمن ليهدم الكعبة وينقل أحجارها الى اليمن ليبنيه بيتا باليمن يجعل حج الناس اليه فنزل بنخلة وأغار على سرح مكة فسار اليه فهر في كنانة وأحلافهم من قبائل مضر فانهزمت حمير وأسر الحرث بن فهر حسان بن عبد كلال فبقي في يد فهر ثلاث سنين أسيرا بمكة حتى فدى نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن فعظم بهذا الحرث شأن فهر فاعزت اليه قريش حين حمى مكة ومنع من هدم الكعبة وكانت من أشباه عام الفيل واختلف في تسميتهم قريشا على أربعة أقاويل أحدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرهم وقديم

والثاني لانهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم والقرش التكسب والثالث لانهم كانوا يفتشون الحاجة عن ذي الخلة فيسدون خلته والقرش التفتيش ومنه قول الشاعر أيها الشامت التقرش عنا * عند عمرو فهل له ابقاء

والرابع ان قريشا اسم دابة في البحر من أقوى دوابه سميت بها قريش لقوتها انها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على ساكني البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا * تترك يوما لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
تملأ الارض خيله ورجال * يحشرون المطي حشرا كميشا

وهذا من هواجس النفوس المخبرة وآيات العقول المنذرة فأما مكة فلها اسمان مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف في الاسمين هل هما لمسمى واحد أو لمسميين على قولين أحدهما أنه لمسمى واحد لان العرب تبدل الميم بالباء فيقولون ضربة لازم ولازب لقرب المخرجين والقول الثاني وهو أشبه أنهما اسمان لمسميين واختلف من قال بهذا في المسمى منهما على قولين أحدهما أن مكة اسم البلد وبكة اسم البيت وهذا قول ابراهيم النخعي والقول الثاني أن مكة الحرم كله وبكة المسجد كله وهذا قول زيد بن أسلم فأما مكة فمأخوذة من قولهم تمككت المخ اذا استخرجته لانها تمك الفاجر أي تخرجه قال الشاعر

يا مكة الفاجر مكي مكا * ولا تمكي مذحجا وعكا

وأما بكة قال الاصمعي سميت بذلك لان الناس يبك بعضهم بعضا أي يدفع وأنشد قول الشاعر اذا الشريب أخذته بكه * فخله حتى يبك بكه

ثم أفضت رئاسة قريش بعد قصي الى ابنه عبد مناف بن قصي فجاد وزاد وساد حتى قال فيه الشاعر

كانت قريش بيضة فتفقأت * فالمح خالصه لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فدفعته أمه الى مناف وكان أعظم أصنام مكة تعظيما له فغلب عليه عبد مناف وكان يسمى القمر لجماله فاستحكمت رياسته بعد أبيه لجوده وسياسته ثم بنيه فولد له هاشم وعبد شمس توأمان في بطن فقيل انه ابتدأ خروج

أحدهما وأصبعه ملصقة بجبهة الآخر فلما أزيلت دمى موضعها فقيل يكون بينهما دم ثم ولد بعدهما نوفل ثم المطلب وكان أصغرهم فساد وتقدمهم هاشم لسخائه وسودده وكان اسمه عمرا فسمى هاشما لانه أول من هشم الثريد لقومه بمكة فى سنة لزبة قحطة رحل فيها الى فلسطين فاشترى منها الدقيق وقدم به الى مكة ونحر الجزر وجعلها ثريدا عم به أهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العهد من آفاقها * الراحلون لرحلة الايلاف

والرايشون وليس يوجد رايش * والقائلون هلم للاضياف

والخالطون غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وهاشم أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وأراد أمية ابن عبد شمس أن يتشبه بهاشم فى صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصى

تحمل هاشم ماضاق عنه * وأعيا أن يقوم به بريض

أتاهم بالغرائر متقلات * من الشام بالبر النغيض

فاوسع أهل مكة من هشيم * وشاب الخبز باللحم الغريض

ونشبت العداوة بين أمية وهاشم وأراد منافرته فكره هاشم ذلك لنسبه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره الى الكاهن الخزاعى فى خمسين ناقة سود الحدق ينحرها ببطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فنفر الخزاعى هاشما وقال لامية تنافر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأحسن منك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا فقال أمية من انتكاث الزمان ان جعلناك حكما فأخذ هاشم الابل فنحرها وأطعمها من حضره وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وملك هاشم الوفادة والسقاية واستقرت له الرياسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لامره وتعمل برأيه وتنافرت قريش وخزاعة اليه فخطبهم بما أذعن له الفريقان

بالطاعة فقال فى خطبته أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسمعيل وبنو النضر
ابن كنانة وبنو قصى بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن
المجد ولكل فى كل حلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته الا ما دعا الى عقوق عشيرة
وقطع رحم يا بنى قصى أنتم كغصنى شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه والسيف
لا يصان الا بغمده ورامى العشيرة يصيبه سهمه ومن أمحكه اللجاج أخرجه الى
البغى أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سودد والجهل
سفه والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا
المعروف تكسبوا الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء وأكرموا الجليس يعمر
ناديكم وحاموا الخليط يرغب فى جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم
وعليكم بمكارم الاخلاق فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضع الشرف
وتهدم المجد ألا وان نهنهة الجاهل أهون من جريرته ورأس العشيرة يحمل
أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به فقالت قريش رضينا بك أبا نضلة وهى
كنيته فانظروا الى ما أمر به من شريف الاخلاق ونهى عنه من مساوى
الافعال هل صدر الا عن غزارة فضل وجلالة قدر وعلو همة وما ذاك الا
لاصطفاء يراد وذكر يشاد لان توالى ذلك فى الآباء يوجب تناهيه فى الابناء
ومات هاشم بغزة من أرض الشام وهو أول من مات من ولد عبد مناف ثم مات
عبد شمس بمكة فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ومات
المطلب بردمان من أرض اليمن وكان هاشم قد تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى
بنت عمرو النجارية فولدت له بيثرب عبد المطلب وكان اسمه شيبة الحمد ونشأ فيهم حتى
مات أبوه هاشم وانتقلت عنه الرياسة والوفادة والسقاية الى أخيه المطلب ووصف
له شيبة بيثرب فخرج فاستنزل أمه عنه حتى أخذه منها ودخل به مكة مردفا له
فقالت قريش من هذا فقال عبدى فسمى عبد المطلب الى أن مات فوثب عليه عمه
نوفل بن عبد مناف فى ركح كان له فاغتصبه اياه والركح الساحة فسأل عبد المطلب
رجالات قومه النصرة على عمه فقالوا لسنا ندخل بينك وبين عمك فلما رأى عبد
المطلب ذلك كتب الى أخواله من بنى النجار يقول

يا طول ليلى لاشجانى وأشغالى * هل من رسول الى النجار أخوالى
بنى عديا ودينار اومازنها * ومالك عصمة الجيران عن حالى
وكنت ما كنت حيانا عما جذلا * أمشى الغضية سحا بالاذيالى
حتى ارتحلت الى قومى وأزعجنى * عن ذاك مطلب عمى بترحالى
فغاب مطلب فى قعر مظلمة * وقام نوفل كى يعدو على مالى
أإن رأى رجلا غابت عمومته * وغاب أخواله عنه بلا والى
أنحى عليه ولم يحفظ له رحما * ما أمنع المرء بين العم والخالى
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكم * لا تخذلوه وما أنتم بخذالى
ما مثلكم فى بنى قحطان قاطبة * حى لجار وانعام وافضال
أنتم ليان لمن لانت عريكته * سلمالكم وسمام الابلج العالى

فقدم عليه ثمانون راكبا من بنى النجار ونصروه على عمه نوفل وارتجعوا منه الركح وعادوا وقد اشتد بهم عبد المطلب فدعا ذاك نوفلا ان حالف بنى عبد شمس على عبد المطلب وبنى هاشم ودعا ذلك عبد المطلب على ان حالف بنى هاشم على نوفل وبنى عبد شمس فقوى عبد المطلب وضعف نوفل وانتقلت السقاية والوفادة والرياسة الى عبد المطلب وأخذ نوفل عهدا من أكاسرة العراق وصارت رحلته اليها وأخذ عبد المطلب عهدا من ملوك الشام واقيال حمير باليمن وصارت رحلته اليها وحفر عبد المطلب حين قوى واشتد بئر زمزم وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحرث الجرهمى من غزالى الكعبة وحجر الركن فضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة ووضع الحجر فى الركن وصار عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع الامر نجيب النسل حتى مر به اعرابى وهو جالس فى الحجر وحوله بنوه كالاسد فقال اذا أحب الله انشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار كل من قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آبائه أعظم رياسة وتنوها وأكثر فضلا ونائلا فحكى الزهرى ويزيد بن رومان وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكور وأراهم بين يديه رجالا أن ينحر أحدهم

للكعبة شكرا لربه حين علم ان ابراهيم أمر بذبح ولده تصوّرا من انه أفضل قربة
فلما استكمل ولده العدد وصار واله من أظهر العدد قال لهم يا بنيّ كنت
نذرت نذرا علمتموه قبل اليوم فما تقولون قالوا الامر لك واليك ونحن بين
يديك فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم أتوه
بالقداح فأخذها وجعل يرتجز ويقول

عاهدته وأنا موف عهده ٭ والله لا يحمد شيء حمده
اذا كان مولاي وكنت عبده ٭ نذرت نذرا لا أحب ردّه
ولا أحب أن أعيش بعده

ثم دعا بالامين الذي يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرّك ولا تعجل وكان
أحب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عبد الله
فاخذ عبد المطلب الشفرة وأتى بعبد الله وأضجعه بين اساف ونائلة وأنشأ
مرتجزا يقول عاهدته وأنا موف نذره ٭ والله لا يقدر شيء قدره
هذا بنيّ قد أريد نحره ٭ وان يؤخره يقبل عذره
وهمّ بذبحه فوثب اليه ابنه أبو طالب وكان أخا عبد الله لابيه وأمه وأمسك يد
عبد المطلب عن أخيه وأنشأ مرتجزا يقول

كلا ورب البيت ذي الانصاب ٭ ما ذبح عبد الله بالتلعاب
ياشيب ان الريح ذو عقاب ٭ ان لنا جرة في الخطاب
أخوال صدق كأسود الغاب

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب وكانوا اخواله قالوا صدق ابن أختنا
ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث انا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت
من ولدك غيره فقال اني نذرت نذرا وقد خرج القدح ولا بدّ من ذبحه قالوا كلا
لا يكون ذلك أبدا وفينا ذو روح وانا لنفديه بجميع أموالنا من طارف وتالد
وأنشأ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزا يقول

يا عجبا من فعل عبد المطلب ٭ وذبحه ابنا كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ٭ ما ذبح عبد الله فينا باللعب

فدون ما يبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث ان هذا الذى عزمت عليه عظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش من بعده ولكن لا عليك أنت على رأس أمرك تثبت حتى نسير معك الى كاهنة بنى سعد فما أمرتك من شئ فامتثله فقال عبد المطلب لكم ذلك وكانوا يرون الكهانة حقا ثم خرج فى جماعة من بنى مخزوم نحو الشام الى الكاهنة فلما دخلوا عليها أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول

يارب انى فاعل لما ترد * ان شئت ألهمت الصواب والرشد

ياسائق الخير الى كل بلد * قد زدت فى المال وأكثرت العدد

فقالت الكاهنة انصرفوا عنى اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذى عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة وأقبلوا عليه يقولون يا أبا الحرث ان لك فى ابراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه فى ذبح ابنه اسمعيل وأنت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون ولدك فلما أصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الابل ثم دعا بأمين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها أربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها تسعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الابل فكبر عبد الله وكبرت قريش وقالت يا أبا الحرث انه قد انتهى رضا ربك وقد نجا ابنك من الذبح فقال لا والله حتى أضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج على

الابل فضرب الثالثة فخرج على الابل فعلم عبد المطلب انه قد انتهى رضاء ربه فى فداء ابنه فارتجز يقول

دعوت ربى مخلصا وجهرا * يارب لا تنحر بنى نحرا
وفاد بالمال تجد لى وفرا * أعطيك من كل سوام عشرا
عفوا ولا تشمت عيونا جزرا * بالواضح الوجه المغشى بدرا
فالحمد لله الاجل شكرا * فلست والبيت المغطى سترا
مبدلا نعمة ربى كفرا * مادمت حيا أو أزور القبرا

ثم قربت الابل وهى مائة من جملة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركت فى مواضعها لا يصد عنها أحد ينتابها من دب ودرج فجرت السنة فى الدية بمائة من الابل الى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحا فكان عبد الله يعرف بالذبيح ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعنى اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب وهذا من صنع الله تعالى لرسوله لما قدره من رسالته وقضاه من آيات نبوته فما يخلو نبى من بلوى منذرة ولا ملك من بلية زاجرة هذا سليمان بن داود عليهما السلام وقد أعطاه الله مع النبوة ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وسأل الله تعالى الحكمة فاعطاه قلبا عليما وفهما سليما حتى وضع ثلاثة آلاف مثل تهذبت بها أخلاق قومه واستقامت بها سيرة ملكه بعد أن سخرت له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب وسخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وذكر فى سيرته انه كان نزله فى كل يوم من دقيق السميد ثلاثين كرا ومن غير السميد كرا وارتفاقه فى كل سنة ستة وثلاثين ألف ألف ألف وثلاثة وثلاثين ألف ألف وثلاثمائة ألف مثقال وكان له ألف وأربعمائة قبل متفرقة فى القرى وملك أربعين سنة كأبيه داود فابتلاه الله تعالى فى أثناء ملكه بعد عشرين سنة منه ما حكاه الله تعالى فى كتابه بقوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وفى فتنته قولان أحدهما ان سليمان سبى بنت ملك

غـزاه فى جزيرة من جزائر البحر يقـال لها صـيدون فألقيت عليـه محبتهـا وهى معرضة عنه تذكر الا بيها لا تنظر اليه الا شزرا ولا تـكلمه الا نزرا ثم انها سألته أن يصنع لها تمثالا على صورته فأمر به فصـنع لها فعظمته وسجدت له وسجـدمعها جواريها وصار صنمـا معبودا فى داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوما وفشا خبره فى بنى اسرائيل وعلم به سليمـان فـكسره ثم حرقه ثم ذراه فى الريح هـذا قول شهر بن حوشب والثانى ان الله تعالى قد جعل ملك سليمان فى خاتمه فقال لآصف وهو شيطان اسمه آصف الشياطين كيف تضلون الناس فقال له الشيطان أعطنى خاتمك حتى أخبرك فأعطاه خاتمه فألقـاه فى البحر حتى ذهب ملـكه وهذا قول مجاهد وفى الجسد الذى ألقى على كرسيه قولان أحدهما انه الشيطان الذى ألقى خاتم سليمـان فى البحر جلس على كرسى سليمـان متشبها بصورته يقضى بغـير الحق ويأمر بغـير الصواب والثانى أكثر من غشى جواريه طلبا للولد فولد له نصـف انسان فـكان هو الجسـد الملقى على كرسـيه وزال عن سليمان ملـكه فخرج هاربا الى ساحل البحر يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجر واذا أخبر الناس انه سليمان كذبوه الى أن أخـذ حوتة من صـياد قيل انه استطعمها وقيـل بل أخذها أجرا فلمـا شق بطنها وجد خاتمه فى جوفها وذلك بعد أربعين يوما من زوال ملـكه عنه وهى عدة الايام التى عبـد فيها الصنم فى داره فسجـد الناس له حين عاد الخاتم اليه وقال يحيى بن أبى عمرو وجد خاتمه بعسقلان فمشى فيها الى بيت المقدس تواضـعا لله وفى قوله ثم أناب تأويلان أحـدهما ثم رجع الى ملـكه قاله الضحاك والثانى ثم أناب من ذنبه قاله قتادة وبقى فى ملـكه بعد فتنته عشرين سنة استـكمل بها الاربعين وهى مدة الايام الاربعين التى زال ملـكه فيها ﴿وأما بلوى الملوك﴾ فان بختنصر كان ملـكه طبق عمارة الارض حتى ملك الاقاليم السـبعة ودانت له ملوك الامم وأدوا اليه خراج بلادهم فطغى قلبـه وشمخ أنفـه فداخلته العـزة واعتقد ان أمم الخلق قد صاروا عبيداله وخولا وان ملوك الارض دانت بطاعته خوفا ورهبـا فغضب الله تعالى عليه وسلبه عزة سلطانه وسـطوته وأزال عنـه هيبته وقدرته وجعل قلبه مثل قلوب الحيوان فانحط عن سرير ملـكه ونفاه

أعوانه عنهم فسكن الفلوات يأكل حشيشها وابتل جسمه من قطر السماء حتى طال شعره وصارت أظفاره كمخاليب الطير حتى حال سبعة أحوال وهو في سكرة لا يدري الناس الا أنه كنوع من الحيوان الذي في صورة البشر الى أن استنقذه الله تعالى من كربه فثاب اليه عقله وزاجره تمييزه فرجع ببصره الى السماء معظما لله تعالى ومستجيرا به ومعترفا أن لا سلطان إلا لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء فطلبه قواده ليردوه الى سلطانه حتى وجدوه فاعادوه الى دار عزه وأجلسوه على سرير ملكه . فعاد الى خوف الله تعالى ومراقبته والى ما كان عليه من جميل سيرته واستناب دانيال النبي في خلافته وتدبير ملكه الى أن مضى لسبيله بعد احدى وخمسين سنة من ملكه ودانيال على خلافته ﴿ومنهم من ملوك الفرس كسرى ابرويز﴾ بلغ في الملك مبلغا عظيما وكان في قصره اثنتا عشر ألف جارية منهن للاستمتاع ثلاثة آلاف جارية وباقيهن للغناء والخدمة وكان في داره ثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته وكان له ألف فيل الا فيل ومن الخيل والبغال خمسون ألف رأس منها المركبة ثمانية آلاف وخمسمائة وأمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده سنة ثمان عشرة من ملكه فكان ستمائة ألف ألف درهم وعدد على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه انه قال أمرنا في سنة ثلاثين من ملكنا باحصاء ما في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله لارزاق الجند وكان من الورق أربعمائة ألف بدرة يكون فيها ألف ألف ألف مثقال وستمائة ألف ألف مثقال سوى ما أفاءه الله تعالى علينا وزادنا من أموال ملوك الروم في سفن أقبلت بها الريح الينا فسميناه في الرياح ولم تزل تزداد أموالنا الى سنتنا هذه وهي سنة ثمان وثلاثين من ملكنا وفيها قبض عليه ابنه حتى قتله وقد ذكر له ما جمع لانه استطال واحتقر الناس فانظر أيها المعتبر بعقله في صنع الله تعالى وقدرته فيمن يبتليه اختبارا ويبلوه ازدجارا هل لما قضاه من دافع وفيما ابتلاه من مانع الا بلطف منه يؤتيه من يشاء وهو القوي العزيز

(فصل) وأما طهارة مولده فان الله تعالى استخلص رسوله من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة وقد

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه فى تأويل قول الله تعالى وتقلبك فى الساجدين أى تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب الى أن جعلتك نبيا وقد كان نور النبوة فى آبائه ظاهرا * حكى * أن كاهنة بمكة يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية قرأت الكتب فمر بها عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه آمنة بنت وهب فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت هل لك أن تغشانى وتأخذ مائة من الابل فعصمه الله تعالى من اجابتها وقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها هل لك فيما قلت فلم تر ذلك النور فى وجهه فقالت له قد كان ذلك مرة فاليوم لا ماذا صنعت فقال زوجنى أبى آمنة بنت وهب الزهرية فقالت قد أخذت النور الذى كان فى وجهك وأنشأت تقول

الآن قد ضيعت ما كان ظاهرا * عليك وفارقت الضياء المباركا

غدوت على خاليا فبذلته * لغيرى هنيأ فالحقن بنسائكا

ولا تحسبن اليوم أمس وليتنى * رزقت غلاما منك فى مثل حالكا

وداخلها الاسف على مافاتها والحسرة على ما تولى عنها فحسدت آمنة على ما صار لها فانشأت تقول انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت كتلألؤ الفجر

ولمابها نور يضىء به * ما حولها كاضاءة البدر

ورأيتها متبينا شرفا * ما كل قادح زنده يورى

لله مازهرية سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدرى

وأنذرت به بنى هاشم فقالت

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة اذ للباه يعتلجان

كما غادر المصباح بعد خموده * فتائل قد ميثت له بدهان

وما كل ما يحوى الفتى من بلاده * بحزم ولا ما فاته لتوان

فأجمل اذا طالبت أمرا فانه * سيكفيكه جدان يعتلجان

ولما حوت منه أمينة ما حوت * منه بخار اما لذلك ثان
سيكفيكه امايد منغلة * وامايد مبسوطة لبنان

وهذا من آيات الله تعالى في رسوله ان عصم أباه حين كان في ظهره أن يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح ثم زالت العصمة بعد وضعه حتى عرض بالطلب بعد أن كان مطلوبا ورغب فيه بعد أن كان مرغوبا ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتفرده بها آية فيزول عنه أن يشارك فيه ويماثل به فلذلك مات أبواه عنه في صغره فأما أبوه عبد الله فمات عنه بمكة وهو حمل وأما آمنة فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين لانها رحلت اليه الزيارة أخوالها من بني النجار فماتت بها عندهم واذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام سادوا وراسوا لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ليس في آبائه خامل مسترذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة حتى تحرجوا من نكاح المحارم وان استباحه غيرهم من العرب حتى حكي ان حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته وأولدها وقد كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى وقال فيها حين نكحها مرتجزا

ياليت شعري عنك دختنوس * اذا أتاها الخبر المرموس
أتسحب الذيلين أم تميس * لا بل تميس انها عروس

وهذا في قريش من الفواحش * وفي التوراة ان لوطا نكح بنتين له فولدتا غلامين ولهما ذرية كبيرة ولوط هو ابن أخي ابراهيم الخليل وقد تزوج ابراهيم بنت أخيه سارة بنت هاران بن تارخ فتنزهت قريش من هذه المناكح حفظا لحرمة الارحام الدانية أن تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية وتقل الغيرة (فان قيل) يشارك الانبياء في شرف النسب وطهارة المولد غيرهم فلم يستحق بهما النبوة (قيل) هما من شروط النبوة وان استحقت بغيرهما فلم يمتنع أن يكون

لهما في النبوة تأثير معتبر ووصف مختبر

(الباب التاسع عشر في آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم)

آيات الملك باهرة وشواهد النبوات قاهرة تشهد مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق ولا منتحل بحق وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وانذارها ❁ ولما دنا مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تظاهرت آيات نبوته وظهرت آيات بركته فكان من أعظمها شانا وأظهرها برهانا وأشهرها عيانا وبيانا أصحاب الفيل أنفذهم النجاشي من أرض الحبشة في جمهور جيشه الى مكة لقتل رجالها وسبي ذراريها وهدم الكعبة * واختلف في سببه فذكر قومه ان ابراهيم بن الصباح استولى على اليمن معتزيا الى النجاشي فبنى بصنعاء كنيسة للنصارى واستعان في بنيانها بقيصر والنجاشي حتى بناها في تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة اليها فأنكرته العرب ودخل الى هيكلها بعض بني كنانة من قريش فاحدث فيها فكتب الى النجاشي يستمده بالفيل وجيش الحبشة ليغزو قريشا ويهدم الكعبة فسار بهم وأخذ أبا رغال من الطائف دليلا الى مكة حتى أنزله بالمغمس ومات أبو رغال بالمغمس فدفن فيه فرجمت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس * وقال آخرون بل سببه ان نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على شاطئ البحر فنزلوا بفنائها وأوقدوا نار العمل طعامهم فاحترقت البيعة فأقسم النجاشي ليسبين مكة وليهدمن الكعبة فأنفذ جيشه والفيل مع ابراهيم بن الصباح وابن مكسوم وحجر بن شراحيل والاسود بن مقصود وكان النجاشي هو الملك وأبرهة صاحب جيشه على اليمن وأبو مكسوم وزيره وحجر والاسود من قواده فساروا بالجيش مع الفيل حتى نزلوا بذي المجاز وتقدمهم الاسود بن مقصود فاستاق سرح مكة فقال فيه عبد الله بن مخزوم

لاهم اخز الاسود بن مقصود * الآخذ الهجمة بعد التقليد

ويهدم البيت الحرام المعبود * والمروتين والمشاعر السود

اخزهم يارب وأنت محمود

وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب وقد قلد بعضها فخرج وكان وسيما جسيما

الى أبرهة وسأله فى ابله فقال له ابرهة قد كنت أعجبتنى حين رأيتك وقد زهدت الآن فيك قال ولم قال جئت لأهدم الكعبة بيتا هو دينك ودين آبائك فلم تسألنى فيه وسألتنى فى ابلك فقال عبد المطلب أنا رب ابلى وللبيت رب غيرى سيمنعه منك فقال أبرهة ما كان ليمنعه منى ورد على عبد المطلب ابله مستهزئا ليعود فيأخذها فاحرزها عبد المطلب فى جبال مكة وأتى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب ان المرء يمنع حله * فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك
فلئن فعلت فانه * أمر يتم به فعالك
اسمع بارجس من أرا * دوا العدو وانتهكوا حلالك
جروا جميع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك

وتوجه الجيش الى مكة من طريق منى والفيل معهم اذا بعث على الحرم أحجم واذا أعدل عنه أقدم فوقعوا بالمغمس فقال أبو الطيب بن مسعود فى ذلك وقيل بل قاله عبد المطلب

ان آيات ربنا ساطعات * ما يمارى بها الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * مر يعوى كأنه معقور

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه غريبة بأرضنا ما هى نجدية ولا تهامية ولا حجازية وانها لأشباه اليعاسيب وكان فى مناقيرها وأرجلها حجارة فلما أظلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا وأفلت من القوم أبرهة ورجع الى اليمن فمات فى طريقه بعد ان كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك ولما تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم عليهم قال عبد المطلب

يارب لا نرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وبعث ابنه عبد الله ليأتيه بخبرهم فوجد جميعهم قد شدختهم الاحجار حتى هلكوا

فعادوا ركضا الى عبد المطلب وأصحابه وأخذوا أموالهم فكانت أول أموال بنى عبد المطلب فأنشأ مرتجزا يقول

أنت منعت الجيش والافيالا * وقد رعوا بمكة الاخيالا
وقد خشينا منهم القتالا * وكل أمر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

﴿وآية الرسول﴾ من قصة الفيل انه كان فى زمانه حملا فى بطن أمه بمكة لانه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول ووافق من شهور الروم العشرين من شباط فى السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن أنوشروان وحكى أبو جعفر الطبرى ان مولده كان لاثنين وأربعين سنة من ملك أنوشروان (فكانت آيته) فى ذلك من وجهين أحدهما انهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجرى عليه السبى حملا ووليدا والثانى انه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم وما هم أهل كتاب لانهم كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن أو قائل بالزندقة أو مانع من الرجعة ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الاسلام تأسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة وأن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج (فان قيل) فكيف منع عن الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى أحرقها ونصب المنجنيق عليها فقال فيها على ما حكى عنه

كيف تراه ساطما غباره * والله فيما يزعمون جاره

وقال راميها بالمنجنيق

قطارة مثل الفنيق المزبد * أرمى بها أعواد كل مسجد

(قيل) فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة ومجىء الرسالة على ان الرسول قد أنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد ان كان المنع آية فلذلك اختلف حكمهما فى الحالين والله تعالى أعلم * ولما انتشر فى العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه وزادت حرمته فى النفوس ودانت

لقريش بالطاعة وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم تشريفا وتعظيما وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية والوفادة مال تخرجه قريش فى كل عام من أموالهم يصنعون به طعاما للناس أيام منى فصاروا أئمة ديانين وقادة متبوعين وصار أصحاب الفيل مثلا فى الغابرين * وروى هشام ابن محمد الكلبى عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج فى الجاهلية تاجرا الى الشام فمر بزنباع بن روح وكان عشارا فأساء اليه فى اجتيازه وأخذ مكسه فقال عمر بعد انفصاله

متى ألف زنباع بن روح ببلدة * الى النصف منها يقرع السن بالندم
ويعلم انا من لؤى بن غالب * مطاعين فى الهيجا مضاريب فى التهم

فبلغ ذلك زنباعا فجهز جيشا الغزو مكة فقيل له انها حرم الله ما أرادها أحد بسوء الا هلك كأصحاب الفيل فكف زنباع وقال

تمنى أخو فهر لقاى ودونه * قراطبة مثل الليوث الخواظر
فوالله لولا الله لا شئ غيره * وكعبته راقت اليكم معاشرى
لأقتل منكم كل كهل معمم * وأسبى نساء بين جمع الاباعر

فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فأجابه وقال

ألم تر أن الله أهلك من بغى * علينا قديما فى قديم المعاشر
وأردى أبا مكسوم أبرهة الذى * أتانا مغيرا كالفنيق المخاطر
بجمع كثير يخرج العين وسطه * على رأسه تاج على رأس باكر
فما راعنا من ذلك العبد كيده * وكتابه من بين لاه وساخر
وقال سأبغى البيت هدما ولا أرى * بمكة ماش بين تلك المشاعر
فرداه رب العرش عنا ورداه * ولم ينجه اعظامه بالمرائر
فأهلكه والتابعين له معا * وأسرى به من ناصر ومساعر
وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا * سوى الله من مولى عزيز وناصر
فدونك زرنا تلق مثل الذى لقوا * جميعهم من دارعين وحاسر

وكان شأن الفيل رادعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ وقد عاصر رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم فى زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل وطير الابابيل منهم حكيم بن حزام وحاطب بن عبد العزى ونوفل بن معاوية لان كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الاسلام

(فصل) ولما حملت آمنة بنت وهب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدثت انها أتيت فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد. ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام قالت أم عثمان بن العاص شهدت ولادة آمنة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا شئ أنظر اليه من البيت الا نور وانى أنظر الى النجوم تدنو وانى أقول لتقعن على والموضعته تركت عليه فى ليلة ولادته جفنة فانقلبت عنه فكان من آياته ان لم تحوه وأرسلت الى جده عبد المطلب ان قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه فقيل ان عبد المطلب أخذه فدخل به على هبل فى جوف الكعبة فقام عنده يدعو ويشكر بما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها وقال قد رأى فيه سمات المجد وتوسم فيه أمارات السودد ان محمدا ان يموت حتى يسود العرب والعجم وأنشأ يقول

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
أعيذه بالواحد المنان * من كل ذى عيب وذى شنآن
حتى أراه شامخ البنيان

(فصل) ولم يزل موفور البركة على كل لائذ به وكافل له فروى جهم بن أبى الجهم عن عبد الله بن جعفر قال لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت حليمة بنت الحرث بن عبد العزى تلتمس الرضعاء فى سنة شيبة قالت ومعنا شارف والله ما يبض لنا بقطرة من لبن ومعى بنى لى منه وما نجد فى ثديى ما نعلله الا أنا نرجو الغيث وكانت لنا غنم فنحن نرجوها فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تقبله وكرهناه ليتمه فأخذ كل صواحبى رضعاء ولم أجد غيره فأخذته وأتيت به رحلى فوالله ان هو الا ثبت فى

الرحل وأمسيت فأقبل ثدياى باللبن حتى أرويته وأرويت أخاه وقام أبوه الى شارفنا تلك لمسه بيده فاذا هي حافل فحلبها ما روانى من لبنها وروى الغلمان فقال يا حليمة والله لقد أصبنا نسمة مباركة ثم اغتدينا راجعين الى بلادنا فركبت أتانى وحملته معى فوالذى نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتى ان النسوة ليقلن يا حليمة امسكى عنا أهذه أتانك التى خرجت عليها قلت نعم فقلت والله انى لأرجو أن أكون قد حملت عليها غلاما مباركا قالت فكان الله يزيدنا به فى كل يوم خيرا وان غنمنا لتعود من الرعى بطانا حفلا وتعود غنم الناس خماصا جياعا قالت فبيناهو يلعب خلف البيوت وأخوه فى بهم لنا اذ أتانى أخوه يشتد فقال ان أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثوبان أبيضان فأخذاه فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه فوجدناه قائما قد انتقع لونه فلما رآنا أجهش الينا باكيا قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له مالك فقال جاءنى رجلان فأضجعانى فشقا بطنى وصنعا بى ثم رداه كما هو قال أنس بن مالك جاءه جبريل فصرعه فشق بطنه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله ثم لأمه ثم أعاده مكانه قال أنس قد كنت أنظر الى أثر المخيط فى صدره ثم ان زوج حليمة قال لها يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك فاحتملته حليمة حتى قدمت به على أمه آمنة فقالت أمه ما أقدمك به يا ظئر قالت قد قضيت الذى على وتخوفت الاحداث عليه فأديته اليك كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقينى فأخبرتها حليمة بحاله وقالت تخوفت عليه الشيطان فقالت أمه كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان له لشأنا وانى رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاءت منه قصور بصرى ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه فى السماء دعيه فانطلقى راشدة وفى هذا الخبر من آياته ما تذعن النفوس بصحة نبوته

(فصل) وروى محمد بن اسحق قال حدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد رأيتنى وأنا غلام يفع بمكة مع غلمان قريش نحمل حجارة على أعناقنا وقد حملنا أزرنا فوطأنا على رقابنا اذ دفعنى دافع ما أراه وقال اشدد عليك

ازارك فشددت ازاري وهذا من نذر الصيانة ليكون عليها ناشئا ولها آلفا

(فصل) وروى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماهممت بشيء مما كان في الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد فاني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو أبصرت الى غنمي حتى أدخل مكة فاسمر بها اسمر الشباب فقال أدخل فخرجت أريد ذلك حتى اذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ماهذا قالوا فلان بن فلان تزوج فلانة ابنة فلان فجلست أنظر اليهم فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني الامس الشمس قال فجئت صاحبي فقال مافعلت فقلت ماصنعت شيأ وأخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال افعل فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الامس الشمس فرجعت الى صاحبي فاخبرته الخبر ثم ماهممت بعدهما بسوء حتى أكرمني الله برسالته فهذه أحوال عصمته قبل الرسالة وصده عن دنس الجهالة فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم ومن الادناس أسلم وكفى بهذه الحال أن يكون من الاصفياء الخيرة ان أمهل ومن الاتقياء البررة ان أغفل ومن أكبر الانبياء عند الله تعالى من أرسل مستخلص الفطرة على الفطرة وقد أرسله الله تعالى بعد الاستخلاص وطهره من الادناس فانتفت عنه تهم الظنون وسلم من ازدراء العيون ليكون الناس الى اجابته أسرع والى الانقياد له أطوع

(فصل) ولما نشأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قريش على أحمد هدى وصيانة وأكمل عفاف وأمانة سموه الامين بعد اختياره وقدموه لفضله ووقاره وتشاوروا في هدم الكعبة وبنائها لقصر سمكها وكان فوق القامة وسعة حيطانها وكان يتهافت فأرادوا تجديدها وتعليتها وخافوا من الاقدام على هدمها وكان للكعبة كنز وجدوه عند دويك مولى ابني مليح من خزاعة وأخذته قريش منه وقطعت يده واتهموا به الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أن يكون قد تولى أخذه وأودعه عند دويك فنافروه الى كاهنة من كهان العرب

فسجعت عليه من كهانتها أن لا يدخل مكة عشر سنين ما استحل من حرمة الكعبة
فكان يجول حول مكة حتى استوفى العشر وكان يظهر فى الكعبة حية يخاف
الناس منها لا يدنو منها أحد الا أخذ ألت وفتحت فاه فانتزوها الى أن علت ذات
يوم على جدار الكعبة فسقط طائر فاختطفها فقالت قريش انا نرجو أن
يكون الله قد رضى ما أردنا وكان البحر قد قذف سفينة على ساحل جدة لرجل من
تجار الروم وكان بمكة نجار من القبط فهيأ لهم تسقيف الكعبة بخشب السفينة فلما
أزمعوا على هدمها قام أبو وهب بن عمير وكان خال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ذا شرف وقدر فأخذ حجرا من الكعبة فوثب الحجر من يده حتى عاد فى موضعه
وقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها مهر
بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس وتصورت قريش أن عود الحجر من يد أبى
وهب الى موضعه أن الله تعالى قد كره هدمها فهابوه وقال الوليد بن المغيرة أنا
أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم
الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقل ننتظر فان أصيب لم نهدم وان لم يصب
هدمناها وقد رضى ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته وعاد الى عمله وتحاصت
قريش الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة وما بين الركن الاسود
والركن اليمانى لبنى مخزوم وتيم وقبائل انضمت اليه من قريش وكان شق الحجر
والحطيم لبنى عبد الدار وبنى عبد العزى وبنى عدى وكان ظهر الكعبة لبنى جمح
وبنى سهم حتى انتهوا الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر قيل انها كانت على
قبر اسمعيل فضربوا المعول بين حجرين فلما تحركا انتفضت مكة بأسرها فكفوا
وانتهوا الى أصل الاساس وجمعت كل قبيلة حجارة ما هدمت وبنوا حتى انتهوا الى
ركن الحجر فتنازعت القبائل فيمن يضع الحجر فى موضعه من الركن فأقبلوا حتى
مكثوا أربع ليال أو خمسا ثم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة
وكان أسن قريش فى وقته يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول
رجل يدخل من باب هذا المسجد فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقالوا هذا محمد وهو الامين فقالوا قد رضينا به لما قد استقر فى نفوسهم

من فضله وأمانته فلما وصل اليهم أخبروه فقال ائتونى ثوبا فأتوه بثوب فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده وقال ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب وليرفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغ الحجر الى موضعه وضعه فيه بيده فكان هذا الفعل من مستحسن أفعاله وآثاره والرضا به من أمارات طاعته وكان ذلك بعد عام الفجار بخمس عشرة سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة فكان ذلك تأسيسا لما يريده الله تعالى به من كرامته وتوطئة لقبول ما تحمله من رسالته والله أعلم بغيب ما استأثر من علمه

(الباب العشرون فى شرف أخلاقه وكمال فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم)

المهيأ لاشرف الاخلاق وأجمل الافعال المؤهل لاعلى المنازل وأفضل الاعمال لانها أصول تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر مما باينها وخالفها ولا منزلة فى العالم أعلى من النبوة التى هى سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق فكان أفضل الخلق بها أخص وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس ولم يكن فى عصر الرسول وما دانى طرفيه من قاربه فى فضله ولا داناه فى كماله خلقا وخلقا وقولا وفعلا وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله وانك لعلى خلق عظيم (فان قيل) فليست فضائله دليلا على نبوته ولم يسمع بنبى احتج بها على أمته ولا عول عليها فى قبول رسالته لانه قد يشارك فيها حتى يأتى بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز انه نبى لا بالفضل (قيل) الفضل من أماراتها وان لم يكن من معجزاتها ولان تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز ولان من كمال الفضل اجتناب الكذب وليس من كذب فى ادعاء النبوة بكامل الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق والصدق موجبا لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل

(فصل) فاذا وضح هذا فالكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه أحدها كمال الخلق والثانى كمال الخلق والثالث فضائل الاقوال والرابع فضائل الاعمال فأما الوجه الاول فى كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف أحدها السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم وكان أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته

حين أتوه مع ارتياضهم بصولة الاكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وان لم يتعاظم بأهبة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطاء معروفا

(فصـــل) والثاني الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة وقد كان محبوبا ولقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب الى أصحابه من الآباء والابناء وشرب البارد على الظما

(فصـــل) والثالث حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد الا من ساقه الحسد الى شقوته وقاده الحرمان الى مخالفته

(فصـــل) والرابع ميل النفوس الى متابعته وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرته فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها من تخصص وهذه الاربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها

(فصل) وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال احداهن رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الاعجاز في المبادي فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا بأصدق وهم وأوضح جزم

(فصـــل) والخصلة الثانية ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة لا يجوز في شديدة ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ويقدر على الخلاص أو بالشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي * وروى

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه ابط بلال * وروى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما شبع آل محمد من الشعير يومين حتى قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء الى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا وقد زويت عنه وما ذاك الا لطلب الآخرة ومستحيل ممن كذب في ادعائه اليها أن يستوحشها أو كذب على الله تعالى أن يثاب بها

(فصل) والخصلة الثالثة زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يمل الى غضارتها ولم يله لحلاوتها * وروى سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت أعطيت خزائن الارض مالم يعط أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك ولا ينقصك في الآخرة شيئا قال اجمعوها لي في الآخرة فنزلت تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا * وروى هلال بن أبي خباب عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جسمه فقال له يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوطأ من هذا فقال مالي وللدنيا مالي وللدنيا والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها * وروى حميد بن بلال بن أبي بردة قال أخرجت الينا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذين هذا وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ومن أقصى اليمن الى شحر عمان وهو أزهد الناس فيما يقتني ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عينا ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها * وروى أبو سلمة عن أبي

هريرة قال جاءت فاطمة عليها السلام الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تريد الميراث فمنعها فقالت من يرثك قال ولدي وأهلي فقالت فلا ترث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنته فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا لا نورث ما تركنا فهو صدقة فمن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوله فأنا أعوله ومن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينفق عليه فأنا أنفق عليه وحث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الزهد في الدنيا والاعراض عن المتلبس بها ليكون عونا على السلامة من تبعاتها وصرف النفوس عن شهواتها * وروى عبد المطلب بن حاطب عن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى * وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة * وروى أبو حكيم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت * وروى عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور * وروى عوف عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما مثل الدنيا كمثل الماشي على الماء هل يستطيع الذي يمشي على الماء أن لا تبتل قدماه وهذه الدواعي والوصايا ما اقتدى به خلفاؤه في زهده وانتقلوا بالامور من بعده فكان أبو بكر يتخلل عباءة له وهو خليفة فسمي ذا الخلالين وكان عمر يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من أدم ويطوف في الاسواق على عاتقه درة يؤدب بها الناس ويمر بالنوى فيلقطه ويلقيه في منازل الناس حتى ينتفعوا به ويطوف وحده في الليل عسسا ويتطلع غوامض الامور تجسسا ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان عثمان يقوم الليل كله يختم القرآن في ركعة وجاد بماله وفدى الخلق بنفسه وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد واشترى علي رضي الله تعالى عنه وهو خليفة قميصا بثلاثة دراهم وقطع كمه من موضع الرسغين وقال الحمد

الله الذي هذا من رياشه ولم يزل يأكل الخشب ويلبس الخشن ويفرق الاموال حتى رش بيت المال ونام فيه وقال يا صفراء يا بيضاء غري غيري وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه اليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة بها ويقنع في العاجل وقد سلب الآجل بالميسور النزر ورضى بالعيش الكدر * وقد روى الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في شهر رمضان قدمى غداك المبارك وقالت ربما لم يكن الا تمرتين * وروى عبد الله بن مسلمة عن مالك ابن أنس أنه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فسألهما فقال ما أخرجكما فقالا أخرجنا الجوع فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أخرجني الجوع فذهبوا الى أبي الهيثم بن التيهان فأمر له بحنطة أو شعير عنده يعمل وقام فذبح لهم شاة فقال له نكب عن ذات الدر واستعذب لهم ماء علق على نخلة ثم أوتوا بذلك الطعام فأكلوا منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتسألن عن نعيم هذا اليوم ثم ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها

(فصل) والخصلة الرابعة تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الاسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد

(فصل) والخصلة الخامسة حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في النفار من كل حليم وأسلم في الخصام من كل سليم وقد منى بجفوة الاعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفر عليه بادرة ولا حليم غيره الا ذو عثرة ولا وقور سواه الا ذو هفوة فان الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمته رؤفا وعلى الخلق عطوفا قد تناولته قريش بكل

كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجلة والدون فكلما كانوا عليه من الامر وألح كان عنهم أعرض وأصفح حتى قهر فعفا وقدر فغفر وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه ماظنكم بى قالوا ابن عم كريم فان تعف فذاك الظن بك وان تنتقم فقد أسأنا فقال بل أقول كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصفح عنها وأعطاها يده لبيعتها (فان قيل) فقد ضرب رقاب بنى قريظة صبرا فى يوم أحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح وقد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقة (قيل) انما فعل ذلك فى حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وانما يختص عفوه بحق نفسه

(فصل) والخصلة السادسة حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فانه ما نقض لمحافظ عهدا ولا أخلف لمراقب وعدا يرى الغدر من كبائر الذنوب والاخلاف من مساوى الشيم فيلتزم فيهما الاغلاظ ويرتكب فيهما الاصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله تعالى له فى نكثهم الخيرة فهذه ست خصال تكاملت فى خلقه فضله الله تعالى بها على جميع خلقه

(فصل) وأما الوجه الثالث فى فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال احداهن ما أوتى من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الجمة الباهرة وهو أمى من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من اتقان ما أبان واحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل فى قول

أو عمل وجعل مدار شرعه على أربعة أحاديث أوجز بها المراد وأحكم بها الاجتهاد أحدها قوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والثانى قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات ومن يحم حول الحمى يوشك أن يقع فيه والثالث قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والرابع قوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا صلاح للعالم الا بدين ينقادون له ويعملون به فما راقها أثر ولا فاق لها خبر وهم ينبوع الحكم وأعيان الامم وما هذه الفطرة فى الرسول الامى الا من صفاء جوهره وخلوص مخبره

(فصل) والخصلة الثانية حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الانبياء مع الامم واخبار العالم فى الزمن الاقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك الا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا وعلى القيام بها محثوثا

(فصل) والخصلة الثالثة احكامه لما شرع باظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصرت لى الحكمة اختصارا لانه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الاطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان واليه مفاد

(فصل) والخصلة الرابعة ما أمر به من محاسن الاخلاق ودعا اليه من مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الارحام وندب اليه من التعطف على الضعفاء والايتام ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحاسن الاخلاق بينهم أنشر ومستحسن الآداب عليهم أظهر وتكون الى الخير أسرع ومن الشر أمنع فيتحقق فيهم

قول الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فلزموا أوامره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الاسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخيارا

(فصل) والخصلة الخامسة وضوح جوابه اذا سئل وظهور حجاجه اذا جودل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح . أتاه أبي بن خلف بعظم نخر من المقابر قد صار رميما فتركه حتى صار كالرماد ثم قال يا محمد أنت تزعم انا وآباءنا نعود اذا صرنا هكذا لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه من غيرك من يحيي العظام وهي رميم فأنطق الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ببرهان نبوته فقال يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم فانصرف مبهوتا ولم يحر جوابا ولما قال عليه الصلاة والسلام لا عدوى ولا طيرة قال له رجل يا رسول الله انا نرى النقبة من الجرب في مشفر البعير فيعدو سائره قال فمن أعدى الاول وأسكته

(فصل) والخصلة السادسة انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون الى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا فانه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما وبالامانة مرسوما وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الى الاسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم اليه فمنهم من كذبه حسدا ومنهم من كذبه عنادا ومنهم من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعا للجاحد ورد المعاند

(فصل) والخصلة السابعة تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هدرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتا وأحسنهم سمتا ولذلك حفظ كلامه

حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الافواه حتى بقى محفوظا في القلوب مدونا في الكتب فلن يسلم الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل أكثر اعرابى عنده الكلام فقال يا اعرابى كم دون لسانك من حجاب قال شفتاى وأسنانى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرئ قصر من لسانه واقتصر على حاجته

(فصل) والخصلة الثامنة انه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معانى لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون وقال اياك والتشادق ولما نزل عليه قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بنى مسجد قباء فحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد أفلح من بنى المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال ولم يدت لله الا ساجد قال يا ابن رواحة كف عن السجع فما أعطى عبد شيأ أشر من طلاقة في لسانه

(فصل) فمن كلامه الذى لا يشاكل في ايجازه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس بزمانهم أشبه وقوله ما هلك امرؤ عرف قدره وقوله لو تكاشفتم ما تدافنتم وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله حبك للشئ يعمى ويصم وقوله العقل ألوف مألوف وقوله العدة عطية وقوله اللهم انى أعوذ بك من طمع يهدى الى طبع وقوله أفضل الصدقة جهد المقل وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى وقوله ترك الشر صدقة وقوله الخير كثير وقليل فاعله وقوله الناس كمعادن الذهب وقوله نزلت المعونة على قدر المؤنة وقوله اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه وقوله أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقوله المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقوله الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر ورخاؤه

(فصل) ومن كلامه الذى لا يشاكل في فصاحته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والمشاورة فانها تميت الغرة وتحيى العرة وقوله لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم

وقوله اللهم انى أعوذبك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يطمع أحدكم الا غنى مطغيا أوفقرا منسيا أومرضامفسدا أوهرمامفندا أوالدجال فهوشرغائب ينتظر أوالساعة فالساعة أدهى وأمر وقوله ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله تعالى فى السر والعلانية والاقتصاد فى الغنى والفقر والحكم بالعدل فى الرضا والغضب وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقوله تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة قالوا وماهى يارسول الله قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم وقوله فى بعض خطبه ألا ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات وقوله فى بعض خطبه وقد خاف من أصحابه فترة أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذى يشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قدنسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وهذا يسير من كثير ولا يأتى عليه احصاء ولا يبلغه استقصاء وانما ذكرنا مثالا ليعلم أن كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة ولو مزج بغيره لتميز باسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة ولا مخالطا لاهلها من خطباء أوشعراء أوفصحاء وانما هو من غرائز فطرته وبداية جبلته وماذاك الا لغاية تراد وحادثة تشاد (فان قيل) اذا كان كلامه مخالفا لكلام غيره فى البلاغة والفصاحة حتى لم يكن فيه مساجلا أيكون له معجزا (قيل له) لو كان هكذا وتحدى به صار معجزا ولا يكون مع عدم التحدى معجزا

(فصل) وأما الوجه الرابع فى فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال احداهن حسن

سيرته وصحة سياسته في دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدبير أحسن وضعه
حتى استمر نقل به الامة عن مألوف وصرفهم به عن معروف الى غير معروف
فأذعنت به النفوس طوعا وانقادت خوفا وطمعا وشديد عادة منتزعة الا لمن
كان مع التأييد الالهي معانا بحزم صائب وعزم ثاقب ولئن كان مأمورا
بما شرع فهي الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فيها فهي الآية الباهرة
وحسبك بما استقرت قواعده على الابد حتى انتقل عن سلف الى خلف يزاد
فيهم حلاوته ويشتد فيهم جدته ويرونه نظاما للأعصار تتقلب صروفها
ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانا ولمن ارتاب به بيانا

(فصل) والخصلة الثانية أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى
اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبا في عاجل وآجل ورهبا
من زائل ونازل لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما
ولا يستديم الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا

(فصل) والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصارى في
التشديد وعن تقدير اليهود في التقصير الى التوسط بينهما وخير الامور أوساطها
لانه العدل بين طرفي سرف وتقصير فليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا
نصيب من سداد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه
برفق فشر السير الحقحقة وان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

(فصل) والخصلة الرابعة انه لم يمل باصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود ولا الى
رفضها كما ترهبت النصارى وأمرهم فيها بالاعتدال أن يطلبوا منها قدر
الكفاية ويعدلوا عن اجتحان واسترادة وقال لاصحابه خيركم من لم يترك دنياه
لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه وهذا صحيح
لان الانقطاع الى أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة وانما كان كذلك لان منها
يتزود لآخرته ويستكثر فيها من طاعته ولانه لا يخلو تاركها من أن يكون
محروما مضاعا أو مرحوما مراعى وهو في الاول كل وفي الثاني مستذل

(أثنى على رجل بخير) عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا يارسول الله
كنا اذا ركبنا لا يزال يذكر الله تعالى حتى ننزل واذا نزلنا لا يزال يصلي حتى نرفع
فقال فمن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه فقالوا كلنا قال فكلكم خير منه
(فصل) والخصلة الخامسة تصديه لمعالم الدين ونوازل الاحكام حتى أوضح للامة
ما كلفوه من العبادات وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات وفصل
لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى احتاج اليهود في كثير من
معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ولم يحتج شرعه الى شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولا
تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الاحكام المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه
وعن التباس بعد اغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بانذاره ويحتج
باظهاره فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا عني ولا تكذبوا علي فرب مبلغ أوعى
من سامع ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه فاحكم ما شرع من نص وتنبيه
وعم به أمر من حاضر وبعيد حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديا ولما تقلده
من حقوق الامة موفيا لئلا يكون في حقوق الله زلل ولا في مصالح الامة خلل
وذلك في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك
الا بديع معجزهم ﴿الخصلة السادسة﴾ انتصابه لجهاد الاعداء وقد أحاطوا
بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور وعدد محقور فزاد به من قل
وعز به من ذل وصار بأثخانه في الاعداء محذورا وبالرعب منه منصورا فجمع
بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر
وانتصر والجمع بينهما معوز الا لمن أمده الله بمعونته وأيده بلطفه والمعوز معجز
﴿الخصلة السابعة﴾ ما خص به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مصابرة عدوه
فانه لم يشهد حربا في فزاع الا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو في موقفه لم
يزل عنه هربا ولا حاز فيه رغبا بل ثبت بقلب آمن وجاش ساكن قد ولى عنه
أصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته
وأصحابه على بغلة مسبوقة ان طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي
أصحابه ويظهر نفسه ويقول الي عباد الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فعادوا أشداذا وارسالا وهوازن تراه وتحجم عنه فهاب حرب من كاثره ولا انكفأ عن مصاولة من صابره وقد عضده الله تعالى بانجاد وأنجاد فانحازوا وصبر حتى أمده الله بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله تعالى وسلم قد سبقهم اليه فتلقوه عائدا على فرس عرى لابى طلحة الانصارى وعليه السيف فجعل يقول أيها الناس لم تراعوا بل تراعوا ثم قال لابى طلحة انا وجدناه بحرا وكان الفرس يبطئ فاسبقه فرس بعد ذلك وماذاك الا عن ثقة من ان الله تعالى سينصره وان دينه سيظهره تحقيقا لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وكفى بهذا قيا ما بحقه وشاهدا على صدقه ✲ الخصلة الثامنة ✲ ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع من شعير لطعام أهله وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخرا ويتباهون بها فخرا ويستمتعون بها أشرا وبطرا وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهما لا يأكل الا الخشن ولا يلبس الا الخشن ويعطى الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الاقلال ويصبر على سغب الاختلال وقد حاز غنائم هوازن وهى من السبى ستة آلاف رأس ومن الابل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية فجاد بجميع حقه وعاد خلوا ✲ روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشئ وروى عمرو بن مرة عن سويد بن الحرث عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرنى ان لى أحدا ذهبا أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت وعندى منه دينار الا أن أعده لغريم ✲ وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل وهو معدم وعد ولم يرد وانتظر ما يفتح الله فروى حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال اجلس سيرزقك الله ثم

جاء آخر ثم آخر فقال لهم اجلسوا فجاء رجل بأربع أواقي فأعطاه اياها وقال
يارسول الله هذه صدقة فدعا الاول فأعطاه أوقية ثم دعا الثاني فأعطاه أوقية ثم
دعا الثالث فأعطاه أوقية وبقيت معه أوقية واحدة فعرض بها للقوم فما قام أحد
فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلي
فقالت له عائشة يارسول الله هل بك شيء قال لا قالت فجاءك أمر من الله قال
لا قالت انك صنعت منذ الليلة شيأ لم تكن تفعله فاخرجها وقال هذه التي فعلت بي
ما ترين اني خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها وروى الزهري عن أبي
سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أنا أولى بالمؤمنين من
أنفسهم فمن ترك دينا فعلي ومن ترك مالا فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود
كرما وجودا أم هل لمثل هذا الاعراض والزهادة اعراضا وزهدا هيهات هل
يدرك شأو من هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد
ولا يدرك لها أمد لم تكمل في غيره فيساويه ولا كذب بها ضد يناويه ولقد جهد
كل منافق ومعاند وكل زنديق وملحد أن يزري عليه في قول أو فعل أو يظفر
بهفوة في جد أو هزل فلم يجد اليه سبيلا وقد جهد جهده وجمع كيده فأي فضل
أعظم من فضل تشاهده الحسدة والاعداء فلم يجدوا فيه مغمز الثالب أو قادح ولا
مطعنا لجارح أو فاضح فهو كما قال الشاعر

شهد الانام بفضله حتى العدى * والفضل ماشهدت به الاعداء

وحقيق لمن بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغايات الامور آلتها أن يكون
لزعامة العالم مؤهلا وللقيام بمصالح الخلق موكلا ولا غاية بعد النبوة ان يتم به
صلاح أو ينحسم به فساد فاقتضى أن يكون لها أهلا وللقيام بها مؤهلا ولذلك
استقرت به حين بعث رسولا ونهض بحقوقها حين قام به كفيلا فناسبها وناسبته
ولم يذهل لها حين أتته وكل متناسبين متشاكلان وكل متشاكلين مؤتلفان
وكل مؤتلفين متفقان والاتفاق وفاق هو أصل كل انتظام وقاعدة كل التئام
فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته وأظهر الامارات في صدق
رسالته فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح والحمد لله الذي وفق لطاعته

وهدى الى التصديق برسالته

الباب الحادي والعشرون في مبدإ بعثته واستقرار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

ان الله تعالى لكل مقدور رمح الامور اذا دنا نذيرا وبشيرا يظهر بهما مبادي ما أخفاه ويشعر بحلول ما قدره وقضاه ليكونا تعذيرا وتحذيرا تستيقظ بهما العقول ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجأة الامور المذهلة ان تصدم ببوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها • وحل صعبها ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة رسولا والى الخلق بشيرا ونذيرا انتشر في الامم ان الله تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان وان ظهوره قد قرب وآن فكانت كل أمة لها كتاب يعرف ذلك من كتابها والتي لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها وتنتبه عليه بهواجس فطرها إلهاما أعان به الفطن اللبيب وأنذر به الحازم الاريب هذا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غافل عنها وغير عالم انه مرادبها ومؤهل لها لم يشعر بها حتى نودي ولا تحققها حتى نوجي ليكون أبعد من التهمة وأسلم من الظنة فيكون برهانه أظهر وحجاجه أقهر وكان مع تمييزه عن قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا بفرائض العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه وشكر المنعم وتحريم الظلم ووجوب الانصاف وأداء الامانة * واختلف أهل العلم هل كان قبل مبعثه متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء فذهب أكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى انه لم يكن متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء لانه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ولو عمل بها لظهرت منه ولو ظهرت منه لاتبعه فيها الموافق ونازعه فيها المخالف وذهب بعض المتكلمين وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى انه كان متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء لانهم دعوا الى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم مالم تنسخ بنبوة حادثة فدخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في عموم الدعاء قبل مبعثه لان الله تعالى لا يخلي زمانا من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع واختلف من

قال بهذا فيما كان متعبدا به من الشرائع المتقدمة فذهب بعضهم الى انه كان متعبدا بشريعة جده ابراهيم عليهما السلام لقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولانه كان فى الحج والعمرة على مناسكه وذهب آخرون الى انه كان متعبدا بشريعة موسى فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليهم السلام لظهور شريعته فى التوراة ودروس ما تقدمها من الشرائع مع قول الله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وذهب آخرون الى انه كان متعبدا بشريعة عيسى عليه السلام لانها كانت ناسخة لشريعة موسى فسلم قبل مبعثه من حرج فى دينه وقدح فى يقينه وهذا من أمارات الاصطفا ومقدمات الاجتبا

(فصل) ولما جد الامر فى النبوة ودنا وقتها حبب الله تعالى الى رسوله الخلاء بعد أربعين سنة من عمره حين تكامل نهاه واشتد قواه ليكون متهيئا لما قدر له ومتأهبا لما أريد له فكان يتخلى فى غار بحراء فى ذوات العدد من الليالى (وقيل) شهرا فى السنة على عادة كانت لقريش فى التبرز بالمجاورة بحراء ويعود الى أهله الى ان استدام الخلاء فى الغار لما أراد الله تعالى به فكان يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين برهة من زمانه وهو غافل عن النبوة وان كان فى الناس موهوما وعند أهل الكتب معلوما ليكون ابتكار البديهة بها مانعا من التصنع لها فلا ينسب الى اختراعها ولو تصنع واخترع لظهرت أسبابهما وعمت شواهدهما ولم يخف على من عاداه أن يتداوله وعلى من والاه أن يتأوله وحسبك بهذا وضوحا أن يكون بعيدا من التهمة بهما سليما من الظنة فيهما فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم على خلوته الى ان أظهر الله تعالى له أمارات نبوته فأيقظه بها بعد الغفله وبشره بها بعد المهله ثم بعثه بها رسولا بعد البشرى على تدريج ترتبت فيها أحواله ليتوطأ للتحمل أثقالها ويعلم لوازم حقوقها حتى لا تفجأه بغتة فيذهل ولا يخفى عليه حقوقها فيشكل وكان ذلك من الله لطفا به وانعاما عليه وداعيا لامته فى الانقياد اليه فسبحانه من لطيف بعباده منعم على خلقه

(فصل) تدرجت اليه أحواله فى النبوة حتى علم انه نبى مبعوث ورسول مبلغ

ترتب تدرجه على ستة أحوال نقل فيهن الى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها * فالمنزلة الاولى الرؤيا الصادقة فى منامه بما سيؤول اليه أمره وكان ذلك اذ كان بها اليروض لها نفسه ويختبر فيها حواسه فيقوم بها اذا بعث وهو عليها قوى وبها ملى روى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة كانت تجئ مثل فلق الصبح حتى فجئه الحق واختلف فى هذه الرؤيا هل كانت قبل انقطاعه الى الخلوة بحراء فحكى عروة عن عائشة أنه حبب اليه الخلاء بعد الرؤيا وذهب قوم الى ان الرؤيا جاءته بعد خلوته لانه خلا على غفلة من أمره وقد روت برة بنت أبى تجراه ان الله تعالى لما أراد كرامة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا فاحتمل ان يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون كالهتوف الخارجة عن اعلام الوحى الى اعجاز النبوة واحتمل ان يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا لها وتحقيقا لصحتها * والمنزلة الثانية ما ميزبه عن سائر الخلق من تقديسه عن الارجاس وتطهيره من الادناس ليصفو فيصطفى ويخلص فيستخلص فيكون ذلك انذار الامر وتنبيها على العاقبة وهو ما رواه عن عروة ابن الزبير عن أبى ذر الغفارى قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول نبوته فقال يا أباذر أتانى ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما على الارض والآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل من أمته فوزنت برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنت بألف فرجحتهم فجعلوا ينثرون على فى كفة الميزان فقال أحدهما للآخر لو وزنته بأمته لرجحها ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى ثم قال شق قلبه فشق قلبى فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ثم قال اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاة ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبى ثم قال خط بطنه فخاط بطنى فما هو ان وليا حتى كأنما أعاين الامر وروى أنس بن مالك قال لما حان أن ينبأ رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم كان ينام حول الكعبة وكانت قريش تنام حولها فأتاه جبريل وميكائيل فقالا بأيهم أمرنا فقالا أمرنا بسيدهم ثم ذهبا وجاآ من القابلة وهم ثلاثة فألفوه وهو نائم فقلبوه لظهره وشقوا بطنه ثم جاؤا بماء من زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو ضلالة أو جاهلية ثم جاؤا بطست من ذهب قد ملئت ايمانا وحكمة فملئ بطنه وجوفه ايمانا وحكمة وهذا موافق لحديث أبي ذر في المعنى وان خالفه في الصفة فتواردا في الرواية وهو انذار بالنبوة * والمنزلة الثالثة البشرى بالنبوة من ملك أخبره بها عن ربه واختصت بشراه بالاشعار وتجردت عن تكاليف وانذار لم يسمع بها وحيا ولا رأى معها شخصا وانما كان احساسا بالملك اقترن بآية دلت وأمارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه ليعلم أنه من أنبياء الله تعالى فيتأهب لوحيه ويعان بامهاله فيكون على البلوى أصبر وللنعمة أشكر روى الشعبي وداود بن عامر ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبوة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشئ بعد الشئ ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وغير مبعوث الى الامة فاحتمل أن يكون امهاله فيها معونة للرسول واحتمل ان يكون نظرا للامة واحتمل أن يكون لا وان المصلحة وليس يمتنع ان يكون لجميعها فانه أعلم بسر ما أخفى وأعرف بمعنى ما أظهره * والمنزلة الرابعة ان نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته فأخبره انه نبي الله ورسوله واقتصر به على الاخبار ولم يأمره بالانذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ويقطع بها يقينا فيكون معتقده بها أوثق وعلمه بها أصدق فلا يعترضه وهم ولا يخالجه ريب * روى الزهري عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فجئه الحق أتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني ثم أتاني فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال اقرأ قلت ما أقرأ قال فاخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد وقال اقرأ باسم ربك الذي خلق فأتيت خديجة فقلت لقد أشفقت على نفسي فاخبرتها خبري

فقالت أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الامانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بى الى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها وخرج فى طلب الدين وقيل قرأ التوراة والانجيل وتنصر وقالت اسمع من ابن أخيك فسألنى فأخبرته خبرى فقال هذا الناموس الذى نزل على موسى عليه السلام يعنى جبريل عليه السلام ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قلت أومخرجى هم قال نعم انه لم يجئ رجل قط بما جئت به الا عودى ولئن يدركنى يومك لأنصرنك نصرا مؤزرا ثم كان أول ما نزل على من القرآن بعد اقرأ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون ونزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه شكرا * وروى ان خديجة قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا اذا أتاك يعنى جبريل عليه السلام قال نعم قالت فاخبرنى به اذا جاءك فجاءه جبريل فقال لها ياخديجة هذا جبريل قد جاء قالت قم فاجلس على فخذى اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول على فخذى اليمنى فتحول اليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فى حجرى فتحول فى حجرها قالت هل تراه قال نعم قال فحسرت وألقت خمارها وهو جالس فى حجرها فقالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمى اثبت وابشر فوالله انه لملك وما هو بشيطان وآمنت به فكانت أول من أسلم من جميع الناس واستظهرت خديجة بما فعلته من هذا فى حق نفسها الا فى حق الرسول ولا استظهارا عليه واكتفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى تصديق جبريل بما عاينته خديجة من آياته المعجزة وكان ما نزل به جبريل فى هذا الحال مقصورا على اخباره بالنبوة ليعلم ان الله تعالى قد اصطفاه لها فينقطع اليه ويوقف نفسه على ما يؤمر به وينزل عليه فيكون لاوامره متبعا ولما يراد به متوقعا وأذن له فى ذكره وان لم يؤذن له فى انذاره لقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث أى بما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستسرا * والمنزلة الخامسة ان أمر بعد النبوة بالانذار فصار به رسولا ونزل عليه القرآن بالامر

والنهى فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن أمنه ويشتد بمن أجابه فنزل عليه قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فتمت نبوته بالوحى والانذار وان كان على استمرار وكان ذلك فى يوم الاثنين من شهر رمضان (قال هشام بن محمد) أول ما اتاه جبريل فى ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له برسالته فى يوم الاثنين (وروى أبو قتادة) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه النبوة واختلف فى أى اثنين كان من شهر رمضان فقال أبو قلابة كان فى الثامن عشر منه وقال أبو الجلد كان فى الرابع والعشرين منه وهو ابن أربعين سنة فى قول الاكثرين لاربعين سنة مضت من عام الفيل وزعم قوم انه كان ابن ثلاث وأربعين سنة قال هشام بن محمد وذلك لعشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وقال غيره لست عشرة سنة من ملكه ثم روى ان جبريل عليه السلام نزل عليه فى يوم الثلاثاء ثانى النبوة وهو بأعلى مكة فهمز بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل منها اليريه كيف الطهور فتوضأ مثل وضوئه ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته فكانت هذه أول عبادة فرضت عليه ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى خديجة فتوضأ لها حتى توضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكانت أول من توضأ بعده وصلى واستمر بالانذار من يأمنه واختلف فى أول من أسلم بعد خديجة على ثلاثة أقاويل أحدها ان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أول من أسلم من الذكور وصلى وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر وهذا قول جابر بن عبد الله وزيد بن أسلم وروى يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف قال جئت فى الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب فلما طلعت الشمس وتحلقت فى السماء أقبل شاب فرمى ببصره الى السماء واستقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث ان جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت

خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة ثم رفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فقلت للعباس يا عباس أمر عظيم هل تدرى من هذا قال العباس نعم هذا محمد بن عبد الله ابن أخى وهذا على بن أبى طالب ابن أخى وهذه خديجة ابنة خويلد زوجة ابن أخى وهذا حدثنى ان رب السماء أمره بهذا الذى تراهم عليه وايم الله ما أعلم على ظهر الارض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة والقول الثانى ان أول من أسلم وصلى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهذا قول ابن عباس وأبى أمامة الباهلى وروى أبو امامة عن عمرو بن عنبسة السلمى قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبعنى عليه رجلان حر وعبد أبو بكر وبلال قال فاسلمت عند ذلك فلقد رأيتنى اذ ذاك ربع الاسلام وقال الشعبى سألت ابن عباس من أول الناس اسلاما فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

والقول الثالث ان أول من أسلم زيد بن حارثة وهذا قول عروة بن الزبير وسليمان ابن يسار وجعل أبو بكر يدعو الى الاسلام من يثق به لانه كان تاجرا ذا خلق ومعروف وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر حسن التأليف لهم وكانوا يكثرون غشيانه فاسلم على يديه عثمان بن عفان وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فجاء بهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استجابوا له بالاسلام وصلوا فصاروا مع من تقدم ثمانية نفر هم أول من أسلم وصلى وقيل انه أسلم معهم سعيد ابن العاص وأبو ذر ثم تتابع الناس فى الاسلام ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على استسراره بالدعاء وان انتشرت دعوته فى قريش * والمنزلة السادسة ان أمر ان يعم بالانذار بعد خصوصه ويجهر بالدعاء الى الاسلام بعد استسراره فانزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فجهر بالدعاء قال

ابن

ابن اسحق ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وأمر أن يبدأ بعشيرته الاقربين فقال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال ابن عباس فصعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا فهتف يا صباحاه يابنى عبد المطلب يابنى عبد مناف حتى ذكر الاقرب فالاقرب من قبائل قريش فاجتمعوا اليه وقالوا مالك قال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أما كنتم تصدقونى قالوا بلى ماجربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تباله ألهذا جمعتنا ثم قام فانزل الله تعالى تبت يدا أبى لهب وتب الى آخر السورة قال ابن اسحق ولم يكن فى قريش فى دعائه لهم مباعدة له ولكن ردوا عليه بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه أحلامهم فى عبادتها فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه وتظاهروا بعداوته الا من عصمه الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستحقرون فصار بعموم الانذار والجهر بالدعاء الى التوحيد والاسلام عام النبوة مبعوثا الى كافة الامة فكمل الله تعالى بذلك نبوته وعم به رسالته فصدع بأمره وقام بحقه وجاهد بانذاره وعم بدعائه وجاهد فى الله حق جهاده حتى خصم قريشا حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وجهم غفير وجمعهم كثير الى أن علت كلمته وظهرت دعوته وكابد من الشدائد مالم يثبت عليها الا معصوم ولا يسلم منها الا منصور وكل هذه آيات تنذر بالحق وتلائم الصدق لان الله لا يهدى كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين

(فصـــل) فاما ماشرعه من الدين فالشرع بعد التوحيد يشتمل على قسمين عبادات وأحكام فاما العبادات فلم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة والصلاة حين علمه جبريل الوضوء والصلاة وكانت فرضا عليه وسنة لامته لقول الله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه فكان هذا حكمها فى حقه وحقوق أمته الى ان فرضت الصلوات الخمس بعد اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وذلك فى السنة التاسعة من نبوته فصارت الصلوات الخمس فرضا عليه وعلى أمته ولم يفرض ماسواها من العبادات حتى هاجر الى المدينة وصارت له بالاسلام دارا وصار أهلها أنصارا فانزل

ما فرض بالمدينة من العبادات بعد فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان في الثانية من الهجرة في شعبان وفيها حولت القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وفرض فيها زكاة الفطر وشرع فيها صلاة العيد وكان فرض الجمعة قد تقدم في أول الهجرة بدلا من صلاة الظهر ثم فرضت زكاة الاموال بعد ظهور القوة وسد الخلة ثم الحج والعمرة وأما الاحكام فما أوجبته قضايا العقول من تحريم القتل والزنا كان مشروعا بمكة مع ظهور انذاره وما تردد في قضايا العقول بين فعله وتركه كف عن الحكم فيه بتحليل أو تحريم أو حظر أو اباحة أو استحباب أو كراهة فلم يحلل بمكة حلالا ولا حرم بها حراما حتى هاجر منها فحلل بعد الهجرة وحرم وأباح وحظر لانه كان بمكة مغلوبا باستيلاء قريش عليها وكانت دار شرك لا ينفذ فيها أحكامه فلم يحلل ولم يحرم حتى صار بالمدينة في دار اسلام تنفذ فيها أحكامه فبين ما حلل وحرم وبين ما أباح وحظر وبين ما يصح من العقود ويفسد ولذلك كان بمكة مسالما وبالمدينة محاربا فكانت الحكمة موافقة لافعاله والتوفيق معاضدا لاقواله وان كان مأمورا بها كما قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى لكن لحسن قيامه بها وموافقة الصواب في مواضعها تظهر آثار حكمته في صحة حزمه وصدق عزمه فهذه جملة متفقة في اعلام نبوته وقاعدة مستقرة في ترتيب رسالته وأحكام شريعته فاما أحكام جهاده في حروبه وغزواته فسنذكره في كتاب نفرده في سيرته نوضح به مواقع أعلامه ومبادي أحكامه وبالله تعالى التوفيق

تم

نحمدك أن أطلعت شموس السعاده * بكوكب المجد وأس السياده * وأظهرت من اعلام نبوته ما كبت أهل الضلاله * ومحا ظلم الكفر فلم ينل أحد من النبيين ما ناله * سيدنا محمد ذي الآيات المعجزة الجمه * المبعوث رحمة للامه * صلى الله وسلم عليه وعلى آله * وصحابته والتابعين ومن على منواله (وبعد) فقد تم طبع اعلام النبوه * المشتمل من سيرة المصطفى على ما يزيل الغمه * ألا وهو نسيج من سارت الركبان بتآليفه * العلامة الماوردي ذي اليد الطولى في تحبيره وتصنيفه * ملتزم طبعه على نفقته الراجي من الله بلوغ المراد * حضرة الحاج حمد أفندي العسافي ببغداد * جزاه الله على هذا الصنع الجميل أحسن جزاء * بجاه النبي وآله البررة الاتقياء * وقد انتهى طبعا * وراق شكلا ووضعا * بالمطبعة البهيه * ذات الادوات المرضيه * الثابت محل ادارتها بحوش قدم من مصر المعزيه * ادارة حليف الصفا والوفا * حضرة محمد أفندي مصطفى * في أوائل أول الربيعين * من عام ١٣١٩ من هجرة سيد الثقلين * صلى الله وسلم عليه وعلى اخوانه من النبيين * والصديقين والشهداء والصالحين *

آمين

